الجمهوريـــة الجزائريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف _ المسيلة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم التاريخ

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ا الماستر شعبة التاريخ

تخصص: تاريخ الجزائر الحديث

بعنـــوان

محمد العربي الزبيري مؤرخا

دراسة لمؤلفاته في تاريخ الجزائر الحديث

إعداد الطالبة: تحت إشراف:

إكرام حفيظي أ/ د. عمر بوضربة

لجنة المناقشة:

اسم ولقب الأستاذ	الرتبة	مؤسسة الانتساب	الصفة
د.نورالدين مقدر	محاضرأ	جامعة محمد بوضياف_المسيلة_	رئيسا
أ/د. عمربوضربة	أستاذ	جامعة محمد بوضياف_المسيلة_	مشرفا ومقررا
أ/د.أحمد مسعود سيد علي	أستاذ	جامعة محمد بوضياف_المسيلة_	ممتحنا

السنة الجامعية 2025/2024م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾

سورة البقرة الآية: 32

شكر وتقدير

الحمد لله الذي بذكره تطمئن القلوب، وبشكره تدوم النعم، الحمد لله حتى الرضا وبعد الرضا الحمد لله على توفيقه لنا في انجازنا لهذا البحث العلمي، وأصلي وأسلم على خير المرسلين صلى اللهم وبارك عليه.

لا يسعني في هذا المقام إلا أن أتوجه بخالص شكري إلى الأستاذ الدكتور الفاضل عمر بوضربة على قبوله الاشراف على هذا العمل، وعلى جملة النصائح والتوجيهات التي قدمها لي في إنجازي لهذا العمل.

والشكر موصول إل كل من قدم لي يد المساعدة من قريب أو بعيد

إهداء

إلى:

ذاكرة القلب التي سبقت ذاكرة التاريخ

تاريخي الأول ومصدر كل فصولي

أمي **يمينة خليفي**

وجودي الممتد في عمق التاريخ

الماضي والمستقبل

أبي **أحمد**

إخوتي وأخواتي

زوجي الكريم

إليكم جميعا أهدي ثمرة عملي هذا عرفانا لدعمكم وتشجيعكم وصبركم

إن الذي لا يدرس الماضي

دراسة علمية لا يمكن أن

يفهم الحاضر، ومن ثمة

فهو لا يستطيع بناء المستقبل الأفضل

لأن عملية البناء والتشييد تعتمد أساسا

على الفهم الصحيح للواقع المعيش

د/محمد العربي الزبيري

مقدمة

مقدمة

تكتسي دراسة تاريخ الجزائر الحديث أهمية بالغة،لما يمثله هذا التاريخ من محطّات مفصلية، أسهمت في تشكيل الهوية الوطنية والحفاظ على مقومات الأمة الجزائرية، وقد شهد هذا التاريخ محاولات متعددة لإعادة كتابته وتصحيح ما تعرض له من تحريف وتزييف من قبل مدرسة التاريخ الاستعمارية، وهو ما تطلب جهودا علمية كبيرة من المؤرخين الجزائريين لإبراز الحقائق التاريخية الموضوعية، وفي هذا السياق برز المؤرخ محمد العربي الزبيري بوصفه واحدا من أبرز الأسماء التي أسهمت بمؤلفاتها وترجماتها في إعادة كتابة تاريخ الجزائر الحديث، واثراء المكتبة التاريخية الوطنية.

أهمية الموضوع.

وتكمن أهمية هذا الموضوع في تسليط الضوء على المؤرخ محمد العربي الزبيري الذي يعد من أبرز المؤرخين الجزائريين المعاصرين، فقد ساهم من خلال مؤلفاته وترجماته في إعادة قراءة أحداث تاريخ الجزائر الحديث وتصحيح العديد من المغالطات التي ارتبطت بهذه الحقبة، كما تبرز أهميته في دراسة منهجه العلمي وأسلوبه في التأليف والترجمة خاصة في كتابي "**المرآة**" و "**الرايس حميدو**" اللذان يعدان مصدران مهمان لفهم الكثير من جوانب التاريخ الجزائري خلال الفترة الحديثة، وإضافة إلى ذلك فإن الموضوع يسهم في توثيق جهود محمد العربي الزبيري، وإبراز دوره في الدفاع عن وطنه.

دوافع اختيار الموضوع.

جاء اختيارنا لهذا الموضوع بحكم العلاقة العلمية التي تربط المشرف بالراحل محمد العربي الزبيري، إذ كان المشرف قد تتلمذ على يديه في فترة سابقة، وهو ما جعله يقترح علينا هذا الموضوع، وبصفتنا طلبة باحثين وجدنا أن هذا الاقتراح يحمل قيمة علمية كبيرة، فأعجبنا بالموضوع لما يتضمنه من أهمية في إبراز شخصية المؤرخ البارز الذي ساهم في خدمة تاريخ الجزائر الحديث، كما أردنا من خلاله توسيع معارفنا التاريخية وصقل مهارتنا البحثية، بالاطلاع على مؤلفات الزبيري وترجماته وتحليل منهجه العلمي.

أما دوافعنا الموضوعية فتكمن في شخصية الدكتور محمد العربي الزبيري كمؤرخ ومترجم أثرى المكتبة الجزائرية بأعمال قيمة في تاريخ الجزائر الحديث، سواء من خلال مؤلفاته التي تناولت مختلف القضايا الوطنية أو من خلال ترجماته التي عكست حرصه على تصحيح الكثير من الحقائق التاريخية، كما أن الموضوع يعد إضافة علمية لأنه يسلط الضوء على جانب مهم من التراث التاريخي الجزائري، ويبرز جهود أحد رموزه في مجال التأريخ.

إشكالية البحث.

انطلاقا مما سبق تتمحور إشكالية هذا البحث حول التساؤل التالي: إلى أي مدى تمكن المؤرخ محمد العربي الزبيري من تقديم قراءة موضوعية لتاريخ لجزائر الحديث من خلال مؤلفاته وترجماته؟

وتندرج تحت هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات الفرعية:

ما هو السياق التاريخي والفكري الذي نشأ فيه محمد العربي الزبيري كمؤرخ؟

ما هي أبرز مؤلفاته المتعلقة بتاريخ الجزائر الحديث؟

ما المنهج الذي اتبعه محمد العربي الزبيري في دراسة تاريخ الجزائر الحديث؟

ما الخصائص الاسلوبية التي برزت في مؤلفاته وترجماته؟

المنهج المتبع:

اعتمدنا في هذا البحث أساسا على المنهج التاريخي باعتباره الأداة العلمية الأنسب لدراسة شخصية محمد العربي الزبيري ومؤلفاته في تاريخ الجزائر الحديث، وقد مكننا هذا المنهج من تتبع حياته العلميةّ ، ورصد سياق إنتاجه الفكري، وقد زاوجنا بين المنهج الوصفي والمنهج التحليلي من أجل وصف مؤلفاته وترجماته بدقة، وتحليل أسلوبه في الكتابة التاريخية والوقوف على خصائص منهجه في الترجمة خاصة في كتابي المرآة والرايس حميدو هذا التكامل المنهجي ساعدنا على الوصول إلى النتائج الموضوعية التي تبرز القيمة العلمية لأعماله.

خطة البحث

ارتأينا أن تكون خطة البحث على النحو التالي، مقدمة البحث التي استهلت بتمهيد عام للموضوع ثم طرحنا من خلالها الإشكالية التي دارت حولها دراستنا، ثما جاء عرض البحث مقسم إلى فصلين، الفصل الأول جاء تحت عنوان المسار الحياتي والعلمي للدكتور محمد العربي الزبيري واندرج تحته مبحثان تناولنا في أولهما السيرة الذاتية للمؤرخ محمد العربي الزبيري، أما المبحث الثاني فتطرقنا فيه إلى مؤلفات العربي الزبيري ومنهجه في الكتابة التاريخية، في حين جاء عنوان الفصل الثاني كتابات م.ع الزبيري في تاريخ الجزائر الحديث فتناولنا في مبحثه الأول مؤلفات الزبيري في تاريخ الجزائر الحديث أما المبحث الثاني فتطرقنا فيه إلى جهود المؤرخ في ميدان الترجمة ثم كانت خاتمة البحث التي اشتملت على جملة من النتائج التي توصلنا إليها .

المصادر والمراجع المعتمدة.

اعتمدنا في انجاز هذه المذكرة على مجموعة من المصادر والمراجع التي تنوعت بين مؤلفات المؤرخ محمد العربي الزبيري نفسه، وبعض الكتب والدراسات التي تناولت موضوع البحث، فقد اعتمدنا أساسا على كتاباته التي كانت محور الدراسة، وعلى رأسها كتاب التجارة الخارجية للشرق الجزائري، وكتاب مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث، أما الكتب المترجمة فهي كتاب "المرآة" للمؤلف حمدان بن عثمان خوجة، وكتاب "الرايس حميدو" بقلم ألبير دوفال، كما استعنا بكتب أخرى تدعم الموضوع وتثريه للمؤلف محمد العربي الزبيري منها أفكار جارحة في السياسة والثقافة والتاريخ، وكتاب الغزو الثقافي (1962_1982)، مقاومة الحاج أحمد باي واستمرارية الدولة الجزائرية وأخيرا كتاب في رحاب التاريخ والنوفمبريون الجدد.

إضافة إلى ذلك تم الرجوع إلى عدد من الكتب والمقالات التاريخية الأخرى كلما اقتضت الحاجة لذلك لتدعيم بعض الآراء أو توضيح بعض النقاط.

الصعوبات.

واجهتنا بعض الصعوبات في كتابة هذه البحث، من أهمها قلة المصادر والمراجع التي تناولت السيرة الذاتية للعربي الزبيري وخصوصا أن المؤرخ معاصر.

الفصل الأول:

المولد..النشأة والمسار العلمي للمؤرخ محمد العربي الزبيري

المبحث الأول: السيرة الذاتية لمحمد العربي الزبيري

المطلب الأول: مولده ونشأته والشهادات العلمية التي تحصل عليها.

المطلب الثاني: المناصب التي شغلها ووفاته.

المبحث الثاني: مؤلفات م.العربي الزبيري ومنهجه في الكتابة التاريخية.

المطلب الأول: مؤلفات م.العربي الزبيري.

المطلب الثاني: منهج الزبيري.

المبحث الأول: السيرة الذاتية لمحمد العربي الزبيري

المطلب الأول: مولده ونشأته والشهادات العلمية التي تحصل عليها.

أولا: مولد محمد العربي الزبيري

ولد المؤرخ محمد العربي الزبيري يوم 18 أفريل 1942، ببلدة سيدي عقبة (ولاية بسكرة)[1]، هذه البلدة التاريخية التي دفن في ترابها الطاهر القائد الفاتح عقبة بن نافع[2]، والده الصادق وأمه ظريفة مسعودي، وله إخوة من بينهم محمد عبد الكريم ،ومختار، ليلى، مليكة، زبيدة، أصله من عرش ولاد العربي الأشراف حيث يرجع نسبه إلى الخليفة علي بن أبي طالب وإلى العرب الهاشميين،[3] درس الطفل الزبيري اللغة العربية وحفظ القرآن وهو في الخامسة من عمره[4]، ثم التحق بالمدرسة الفرنسية حيث استفاد من التعليم العصري، درس السنة الأولى والثانية في سيدي عقبة،[5] فقد تلقى تعليمه في البداية على يد الشيخ صالح مسعودي بن الهادي، ثم على يد الأستاذ الطاهر حمزة حوحو وبسبب الاحتلال الفرنسي انتقلت عائلته إلى **منطقة الحروش** في سكيكدة وهو في سن العاشرة وواصل تعليمه هناك حتى تحصل على شهادة التعليم الابتدائي[6]، تابع الزبيري دراسته الدينية وتعلم على يد أستاذه الطاهر براهمية قواعد اللغة العربية وأدابها والعلوم الدينية (الفقه والحديث)[7]، ليتحصل بعدها على شهادة الأهلية التي مكنته من الدخول إلى الثانوية بمدينة قسنطينة، ثم بعدها انتقل الى الجامعة (جامعة الجزائر1963) ليتحصل على العديد من الشهادات العليا[8].

---

[1]محمد أرزقي فراد، قراءة في أفكار المؤرخ محمد العربي الزبيري، ص1.

[2]مولود عويمر، الدكتور محمد العربي الزبيري خطوات رائدة في الذود عن تاريخ الجزائر والثورة، التبيان، العدد 16، مارس 2023، ص56_58.

[3]الأخضر عالب، المجاهد الراحل "محمد العربي الزبيري، سيرة ومسيرة"، الربيئة، العدد 30، الجزائر، 10 اكتوبر 2024، https://arrabiaa.net/.

[4]أنس مباركي، محمد العربي الزبيري واسهاماته في كتابة تاريخ الجزائر، مذكرة لنيل شهادة الماستر، جامعة بسكرة، 2018_2019، ص33.

[5]الأخضر عالب، المرجع السابق.

[6]أنس مباركي، المرجع السابق، ص 33.

[7]الأخضر عالب، المرجع السابق.

[8]أنس مباركي، المرجع السابق، ص34.

ثانيا: الدرجات الأكاديمية التي حاز عليها الدكتور الزبيري.

تميز الدكتور محمد العربي الزبيري بمسيرة علمية حافلة اتسمت بالجد والاجتهاد، وعكست شغفه الكبير بالعلم والمعرفة، منذ سنواته الأولى وبفضل عزيمته القوية وطموحه العالي استطاع أن يواصل دراسته في ظروف لم تكن سهلة محققا بذلك سلسلة من المؤهلات والشهادات التي فتحت له أفاقا واسعة من مجالات الفكر والتاريخ والسياسة، وفيما يلي سنعرض أهم الشهادات العلمية التي نالها هذا المؤرخ الجزائري البارز مرتبة حسب تسلسلها الزمني.

- شهادة ليسانس في الأدب من جامعة الجزائر 1965_1966.
- شهادة الكفاءة في التعليم الثانوي في اللغة العربية وآدابها 1967[1]، وفي الوقت نفسه سجل في قسم التاريخ عام 1968[2].
- شهادة ليسانس في الترجمة 1969 بالجزائر.
- ديبلوم الدراسات العليا في التاريخ 1970 بالجزائر.
- دكتوراه الطور الثالث 1972 بجامعة الجزائر[3]، وكان عنوان أطروحته التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة ما بين 1792_1830 تحت إشراف المؤرخ الدكتور أبو القاسم سعد الله، نوقشت الرسالة يوم السبت 30 سبتمبر 1972، وخضر المناقشة الأستاذ إبراهيم فخار رئيسا والدكتور عبد الجليل التميمي عضوا وبهذا يعد الزبيري ثاني طالب أشرف عليه الدكتور سعد الله وتوقع له مستقبلا علميا زاهرا، ثم انتقل الزبيري إلى العراق للدراسة في جامعة بغداد فتحصل على دكتوراه دولة في "فلسفة التاريخ" سنة 1994_1995[4].

[1] أنس مباركي، محمد العربي الزبيري واسهاماته في كتابة تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 33.
[2] الأخضر عالب، المجاهد والمؤرخ الرجل (محمد العربي الزبيري سيرة ومسيرة)، المرجع السابق.
[3] أنس مباركي، الالمرجع السابق، ض33.
[4] الأخضر عالب، المرجع السابق.

المطلب الثاني: المناصب التي شغلها ووفاته.

أولا: المناصب التي تقلدها

بعد أن تعرفنا على حياة الدكتور محمد العربي الزبيري ونشأته العلمية من المهم أن نتوقف عند أبرز المناصب التي تقلدها خلال مسيرته، فقد شغل عدة مواقع مهمة في المجال الثقافي والفكري وكان لها أثر كبير في الساحة الوطنية نذكر منها:

- ❖ عين بعد الاستقلال عضوا في ديوان الأمين العام لجبهة التحرير الوطني السيد محمد خيضر وفي نفس السنة عين مفتشا عاما لجبهة التحرير الوطني[1].
- ❖ في جوان 1965 عين أمينا وطنيا للاتحاد الوطني للطلبة الجزائريين بين عامي 1965_ 1967 [2].
- ❖ أول جزائري شارك في مؤتمر الكتاب الأفروأسيوي ببكين في جوان 1966، باعتباره رئيس وفد وعين مرة أخرى مسؤولا عن الأمانة المركزية لحزب التحرير الوطني ما بين 1973_1977[3].
- ❖ كان رئيسا لاتحاد الكتاب الجزائريين عام 1981 وأمينا عاما للكتاب والصحفيين والمترجمين الجزائريين[4].
- ❖ عام 1991 أسس منتدى الفكر والثقافة بالجزائر العاصمة [5].

ثانيا: وفاته

في يوم الاثنين 30 سبتمبر 2024 ودعت الجزائر واحدا من رجالها الأوفياء وهو المجاهد المعروف والمؤرخ البارز محمد العربي الزبيري والذي يعد من الشخصيات البارزة في تاريخها المعاصر، توفي رحمه الله عن عمر ناهز

[1] أنس مباركي، محمد العربي الزبيري واسهاماته في كتابة تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص38.

[2] الأخضر عالب، المجاهد والمؤرخ الراحل " محمد العربي الزبيري"، سيرة ومسيرة. المرجع السابق.

[3] أنس مباركي، محمد العربي الزبيري واسهاماته في كتابة تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص38.

[4] وكالة الانباء الجزائرية، وفاة المؤرخ المجاهد محمد العربي الزبيري، الاثنين 30سبتمبر 2024، 21:45، الجزائر، https://news.radioalgerie.dz/.

[5] المرجع نفسه.

الـ83 سنة بعد صراع مع المرض[1]، حيث كان يتلقى العلاج بمستشفى "عين النعجة في العاصمة، وقد شيعت جنازته في جو من الحزن والتقدير بعد صلاة الظهر، يوم الثلاثاء 1أكتوبر 2024 ودفن بمقبرة غريدي في منطقة القبة[2]، وقد عبّر وزير الاتصال عن حزنه الشديد بوفاة الفقيد مقدّما تعازيه الصادقة إلى أفراد عائلته وأقاربه، وأصدقائه وتلاميذه، وإلى كل من عرفه واشتغل معه، أو تتلمذ على يديه، وقد نشرت الوزارة عن صفحتها الرسمية بيانا جاء فيه أن وزير الاتصال محمد لعقاب[3] قد تلقى ببالغ الحزن والأسى خبر وفاة المجاهد والمؤرخ العربي الزبيري معتبرا رحيلة خسارة كبيرة للجزائر، والثقافة الوطنية بقوله:**"بوفاة الدكتور الزبيري فقدت الجامعة الجزائرية والصحافة الوطنية أحد أبرز الأساتذة وكبار الكتاب الجزائريين"**[4].

رحم الله المجاهد محمد العربي الزبيري الذي يعد واحدا من كبار الكتاب في مجال التاريخ الوطني [5]، فقد كان ابنا وفيا لوطنه وشارك في ثورتها الكبرى وساهم بقلمه في توثيق تاريخها بطريقة علمية دقيقة معتمدا على مناهج اكاديمية رصينة، فبرحيله حزن عليه كل من عرفه عن قرب أو قرأ له أو استفاد من علمه فقد كان باحثا متمكنا في مجاله واسع المعرفة حريصا على الدقة والمنهج إلى جانب ما عرف به من أخلاق عالية وتواضع كبير يشهد له به الجميع.

كانت جنازة محمد العربي الزبيري مشهدا مهيبا حيث حضرها العديد من المواطنين الذين حضروا من كافة أنحاء الوطن لتوديعه وفي مقدمتهم وزراء وممثلي الدولة الجزائرية وعلى رأسهم وزير المجاهدين العيد ربيقة الذي ألقى كلمته كما حضر جنازته بعض الأحزاب السياسية وطلابه وأساتذة التاريخ وفي مقدمتهم محمد الأمين بلغيث وعبد المجيد شيخي ومحي الدين عميمور وغيرها من الشخصيات والوجوه المعروفة في الساحة الثقافية والأكاديمية[6].

---

[1]أ، الأخضر عالب، المجاهد والمؤرخ الراحل " محمد العربي الزبيري"، سيرة ومسيرة، المرجع السابق.

[2]الأخضر رحموني، وفاة المؤرخ محمد العربي الزبيري، المدافع عن تصحيح المصطلحات والمفاهيم في تاريخ الحركة الوطنية، جريدة الوسط الجزائرية، 5أكتوبر 2024.

[3] محمد لعقاب أستاذ جامعي وإعلامي، كاتب ومحلل سياسي جزائري، عضو إعلامي في مديرية حملة المترشح للرئاسيات عبد المجيد تبون.

[4]جريدة النصر، 1963، ت 30 _09_، 2024?https://www.google.com/search

[5]محمد ارزقي فراد، قراءة في أفكار محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص1.

[6]الأخضر عالب، سيرة ومسيرة، المرجع السابق.

المبحث الثاني: مؤلفات محمد العربي الزبيري ومنهجه في الكتابة التاريخية

المطلب الأول: مؤلفاته

كان الدكتور محمد العربي الزبيري "رحمه الله" ناقدا متمكنا يتمتّع بعلم واسع وقلم جريء تميز في طرح أفكاره التاريخية بأسلوب يعكس وطنيته السابقة ويبتعد عن الأساليب المألوفة التي تهمل الجوانب المهمة من تاريخ الجزائر وقد يكون لهذا الأسلوب أحد الأسباب التي جعلت له مكانة علمية مرموقة فقد أثرى محمد العربي الزبيري المكتبة الجزائرية بعدد من الكتب التاريخية القيمة بمواضيع متنوعة، حيث تميزت كتاباته بالموضوعية والحياد الأكاديمي والبعد عن التحيز لأي جهة كانت، فقد جمع بين التأليف والترجمة وأبرز ما يميز مساهاته أنها تقدم قراءة جزائرية ناضجة للمؤلفات التاريخية حيث سعى إلى تقديم رؤية علمية تساهم في تحقيق تاريخها المجيد، كما قام بتلخيص وقراءة عشرات المؤلفات بأسلوب يبرز الحقائق ويزيل التشويه والزيف الاستعماري عنها[1] .

لذلك يعد محمد العربي الزبيري واحدا من أبرز الأقلام التي ساهمت في كتابة تاريخ الجزائر المعاصر، بأسلوب علمي وموضوعي فهو لم يكن مجرد مؤرخ يروي للأحداث بل كان مفكرا وناقدا وطنيا التزم بنقل الحقيقة بعيدا عن التحيز، وساهم بشكل كبير في اثراء المكتبة الجزائرية بقراءة وطنية صادقة في تاريخ الجزائر، وفيما يلي عرض لمؤلفاته التي تميزت بالتحليل العميق والأسلوب الرصين.

أولا _ المؤلفات.

- التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة ما بين 1792حتى 1830.
- مدخل الى تاريخ المغرب العربي الحديث
- دراسة في تاريخ الجزائر المعاصر فيه خمس أجزاء
- الكفاح المسلح في عهد الأمير عبد القادر
- الكفاح المسلح في عهد الحاج أحمد باي
- حمدان خوجة رائد الكفاح السياسي
- المثقفون الجزائريون والثورة
- مقاومة الجنوب للاحتلال الفرنسي

[1] محمد أرزقي فراد، قراءة في أفكار المؤرخ العربي زبيري، المرجع السابق، ص 1.

- الثورة الجزائرية في عامها الأول
- الغزو الثقافي في الجزائر من 1962 حتى 1982
- مقاومة الحاج أحمد باي واستمرارية الدولة الجزائرية
- المؤامرة الكبرى أو إجهاض الثورة
- عن رسالة رفائيل دراعي الى الرئيس بوتفليقة من أجل رجوع الأقدام السود الى الجزائر
- جبهة التحرير الوطني المعتدي اليها.
- حزب "جبهة التحرير الوطني" من الشرف إلى العلف"تشريح الأزمة
- حزب "جبهة التحرير الوطني" من العلف الى العفن
- المقاومة العربية
- أفكار جارحة في السياسة والثقافة والتاريخ
- الجزائر...الصديق اللدود: أراء في العلاقات الجزائرية الفرنسية
- في رحاب التاريخ والنوفمبريون الجدد
- الحزب الشيوعي الجزائري تاريخ ... وخيانات
- قراءة في كتاب عبد الناصر وثورة الجزائر[1]
- من المسؤول عن ضياع فلسطين وكيف يكون استرجاعها
- الزعيم الكبير وصغار العلماء
- الذاكرة المشوشة والمفاتيح المزورة
- تساؤلات محرجة ونقاط على الحروف[2]

ثانيا– الكتب المحققة والمعربة.

- المرآة: لحمدان بن عثمان خوجة
- مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة
- الرايس حميدو

[1]أنس مباركي، محمد العربي الزبيري وإسهاماته في كتابة تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 41.

[2]الأخضر عالب، المجاهد والمؤرخ الراحل محمد العربي الزبيري سيرة ومسيرة، المرجع السابق.

ثالثا_ المقالات

- نشر العربي الدكتور محمد العربي الزبيري العديد من المقالات في المجلات العلمية، الجزائرية نذكر منها:
- في رحاب المدرسة الوطنية، المجلة التاريخية الجزائرية العدد 9، سبتمبر 2018.
- الخطوات الأولى في التطبيق الميداني في أهداف الثورة التحريرية، المصادر، العدد 2، 1999_12_30.
- مقاومة الجزائر للتكتل الأوروبي قبل الاحتلال، الاصالة، العدد 12، يناير1973.
- المقاومة في الجزائر 1830_1848، الأصالة، العدد 29، 30فيبراير1976.
- المقاومة في الجزائر 1830_1848، (2) الأصالة،العدد 4، أكتوبر 1879.
- الغزو الثقافي، الجزائر، الرؤية، العدد 3،1 يناير .1983.
- ملاحظات حول التجربة اللبنانية الفلسطينية، الكاتب العربي ، العدد 4، 1 أكتوبر 1976.[1]

وإلى جانب العديد من المحاضرات والأحاديث والمحاورات الاذاعية.

ختاما فإن الجهد الذي بذله العربي محمد الزبيري في خدمة التاريخ والثقافة يظل شاهدا على شخصية علمية ووطنية قل نظيرها لقد أثرى المكتبة الجزائرية بعطاء علمي زاخر ومتنوع سواء من خلال مؤلفاته الأصلية أم ترجماته القيمة مما يجعله واحدا من أبرز أعلام الفكر الجزائري المعاصرة وعالما يستحق التقدير والاعتراف في سبيل المعرفة والوطن.

المطلب الثاني: منهج العربي الزبيري

نال المنهج الحظ الوافر من اهتمام دراسة الباحثين والمفكرين، ذلك أنه لا بداية إلا به فهو الركيزة الأساسية التي يعتمد عليها المؤرخ في دراسة الأحداث وتحليل الوقائع التاريخية ويعتبر المؤرخ محمد العربي الزبيري من بين الأسماء الفكرية البارزة في الساحة الجزائرية، حيث عرف باهتمامه العميق بالتاريخ الوطني، وقبل الخوض في ملامح منهجه في الكتابة التاريخية من المهم أن نتوقف عند تعريف الدكتور الزبيري للمنهج، فقد صرح في حوار أجرته معه

[1] الأخضر عالب، المجاهد والمؤرخ الراحل محمد العربي الزبيري سيرة ومسيرة، المرجع السابق.

"مجلة الجيش"، عندما سئل عن المنهج والمنهجية فقال بأنه هو الطريقة التي يسلكها الباحث من أجل الوصول إلى الحقيقة ونظرا لأن التاريخ علم قائم بذاته على قواعد وأسس محددة ويخضع لمقاييس علمية دقيقة فلا بد على المؤرخ الحقيقي أن يكون ملما بالمنهج الذي يأخذ بعين الاعتبار جميع هذه المعطيات[1].

ويثبت محمد العربي الزبيري قوله هذا باعتبار أن المنهج ركيزة أساسية للوصول إلى الحقيقة التاريخية، لذلك كان من الضروري على الباحثون في التاريخ والدارسون والمؤرخون اتباع منهجا خاصا يتوافق وطبيعة هذه المادة العلمية، فبقدر حاجتنا إلى التاريخ الذي هو ذاكرة الأمة ومجدها نحن بحاجة أيضا إلى المنهج الموثوق الذي يدفع بنا للوصول إلى الحقيقة التاريخية بدون مغالاة ولا مغالطات.

وقد أكد الأمين العام لاتحاد الكتاب الجزائريين الدكتور محمد العربي الزبيري أن علم التاريخ له قواعده وأسسه، بقوله: "**فالتاريخ علم له منهجيته وله طرقه ومقاييسه التي لابد من الاعتماد عليها وإلا أفقدناه صفة العلمية**"[2]، لذلك كان المنهج الذي يتبعه العربي الزبيري في كتاباته التاريخية منهجا تاريخيا بامتياز يقوم على استعمال المنطق من خلال الرؤية العقلية والرأي السليم في التعامل مع المصادر.

بل اكثر من ذلك دقة في منهجه هو اعتماده على مبدأ الشك الذي يكون منتهاه الوصول الى الدقة والحقيقة كما جاء على لسانه: "**يجب على الباحث أن ينطلق من حقيقة ثابتة وهي أن أساس التاريخ هو الشك الذي لا يمكن بدونه أن نثير النقاط الحساسة وأن نصل إلى المصدر الصحيح للمعلومات التي نخضعها فيما بعد للفحص والتمحيص**"[3]، فالزبيري يركز على استخدام الشك كمنهج لتمحيص المعلومات والحقائق خاصة وأن التاريخ عامة والتاريخ الجزائري خاصة كتب بنزعة استعمارية[4]، وانطلاقا من هذا الواقع ركز محمد العربي الزبيري على ضرورة توجيه البحث العلمي في تاريخ الجزائر نحو الاهتمام بدراسة الأرشيف العثماني باعتباره مصدرا أساسيا لفهم مرحلة التاريخ الحديث وكشف الجوانب المعتمة وتسليط الضوء على المحطات المهمةفي مسار المجتمع الجزائري الأصيل.[5]

---

[1]محمد العربي الزبيري، الغزو الثقافي في الجزائر (1962_1982)، دار الحكمة للنشر، الجزائر، الطبعة 2، 2015، ص136.

[2]المرجع نفسه، ص148.

[3]المرجع نفسه، ص137.

[4]محمد العربي الزبيري، مقاومة الحاج أحمد باي واستمرارية الدولة الجزائرية، دار الحكمة للنشر، الطبعة1، ص25.

[5]محمد العربي الزبيري، مقاومة الحاج أحمد باي واستمرارية الدولة الجزائرية، المرجع نفسه، ص25.

كما يؤكد العربي الزبيري على أن التاريخ قد يتعرض في كثير من الأحيان للتزييف وهو ما يستدعي منا العمل على تصحيحه وتقويم ما فيه من انحرافات بقوله: "**وأنا أعتقد شخصيا أن معظم التزييف يأتي عن التأخير في معالجة الأحداث في وقتها ولأجل ذلك أقول إني من دعاة كتابة التاريخ في وقته**"[1]، لأن عدمكتابة الاحداث وتحليلها في وقتها المناسب يترك الجال مفتوحا أمام التلاعب بالحقائق، لذلك نحن كجزائريين مطالبين _وبالإلحاح_ بإعادة كتابة تاريخنا في مختلف مراحله لأن ما هو متداول اليوم في أغلبه لا يعبر تعبيرا دقيقا عن حقيقة تاريخ الجزائر بل يشوبه النقص أو التأويل الذي لا يعكس واقعنا كما عاشه أجدادنا [2] .

ويمكننا أن نختم كل هذا بقوله: "**إن الحديث عن المنهج طويل جدا لأنه يحتم علينا التعرض إلى طرق التقميش والتعليق والتحليل والايضاح والاثبات والنقد والاستنطاق والعرض والصيانة ...الخ ، لكن تعلم المنهج وحده لا يكفي بل لابد للمؤرخ زيادة على العلوم الموصلة أن يكون ملهما وموهوبا وصاحب صبر كبير وإرادة قوية**"[3]، وعليه فإنه يجب على المؤرخ الحقيقي أن يتسلح بالإرادة القوية والصبر الايوبي لدراسة الظروف والمحيط وتحليل سائر التيارات الدينية والسياسية الى غير ذلك فيما يمكن أن يساعد على إظــهار الحقيقة[4].

وهنا إذا كنا سنتحدث عن المنهج الذي اتبعه العربي الزبيري في كتابته التاريخية فإننا هنا سنتحدث عن مؤرخ فيلسوف بحث وجمع ووضع ما يجمعه تحت الشك والنقد بهدف الوصول إلى الحقيقة وهذا منهج تاريخي برؤية فلسفية بامتياز ففي النهاية حسب العربي الزبيري أن "الهدف من دراسة التاريخ هو تزويد الإنسان بحِكم تمكنه من أن يفهم معنى الأحداث الحاضرة في ضوء خبرته بالماضي بل وإلقاء الضوء على المستقبل[5] إذ لابد من إعادة تركيب الماضي في ذهن المؤرخ وذلك بالتواجد مع الشخصية المدروسة والنفاذ إلى أعماقها والتعاطف مع العصر الذي يدرسه لكي يفهمه وبذلك تصبح الأحداث التاريخية حاضرة وتستحيل الوقائع الميتة إلى نبضات حية، ولا

[1] محمد العربي الزبيري، الغزو الثقافي في الجزائر (1962_1982)،المرجع السابق، ص148.

[2] المرجع نفسه، ص143.

[3] المرجع نفسه، ص139.

[4] المرجع نفسه، ص139.

[5] أحمد محمود صبحي، في فلسفة التاريخ، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، د.ط، 1975، ص12.

يقف تمثل أفكار الآخرين وتجاربهم عند مجرد فهم مواقفهم وأفكارهم وسلوكياتهم وإنما تصبح هذه العملية الفكرية جزء من ذات المؤرخ [1].

[1]أحمد محمود صبحي، فيفلسفة التاريخ، المرجع السابق، ص48

الفصل الثاني

كتابات م.العربي الزبيري في تاريخ الجزائر الحديث

المبحث الأول: مؤلفات العربي الزبيري في تاريخ الجزائر الحديث.

المطلب الأول:كتاب التجارة الخارجية للشرق الجزائري.

المطلب الثاني: كتاب مدخل الى تاريخ المغرب العربي الحديث.

المبحث الثاني:جهود العربي الزبيري في ميدان الترجمة.

المطلب الأول:كتاب المرآة.

المطلب الثاني:كتاب الرايس حميدو.

المبحث الأول: مؤلفات العربي الزبيري في تاريخ الجزائر الحديث.

المطلب الأول: كتاب التجارة الخارجية للشرق الجزائري (1792–1830).

أولا/ دراسة شكلية للكتاب.

الاسم الكامل للكاتب: محمد العربي الزبيري.

عنوان الكتاب: التجارة الخارجية للشرق الجزائري(**1792–1830**).

عدد الصفحات: 319 صفحة.

دار ومكان النشر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972، بدون طبعة.

ثانيا/ الوصف الخارجي للكتاب.

الكتاب يغلب عليه اللون الأصفر الغامق من الأعلى والأسفل أما في الوسط فيحمل لون أصفر فاتح جدا على الجهة العلوية توجد خلفية بنية اللون، تحتوي على شعار هندسي أزرق وأبيض يتوسطه نشكل نجمي، العنوان مكتوب بخط عربي واضح بلون بني غامق في وسط الغلاف أما اسم المؤلف "محمد العربي الزبيري" فيظهر في أعلى يمين الغلاف باللون الأسود، أسفل الغلاف نلاحظ شعار الشركة الوطنية للنشر والتوزيع –الجزائر– .

ثالثا/ محتوى الكتاب

الكتاب مقسم إلى ستة فصول جاءت كالاتي:

الفصل الأول أو الفصل التمهيدي تطرق فيه الزبيري إلى الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي كانت سائدة خلال الفترة 1792_ 1830 ، حيث قام بقسيم الأوضاع السياسية إلى قسمين هما **السياسة الداخلية:** التي أشار فيها إلى بعض الحوادث التي كان لها أثر كبير على أمن واستقرار الشرق الجزائري آنذاك نذكر منها حادثة 1792، التي عزل فيها صالح باي، وتمرد الشريف بن الأحرش ...الخ من الأحداث الأخرى، ثم انتقل الى **السياسة الخارجية** والتي تناول فيها علاقة الجزائر بالباب العالي التي وصفها بأنها كانت علاقة السيد بالسيد كما أشار إلى بعض الهدايا المتبادلة بينهما كما أشار أيضا إلى العلاقات الجزائرية الفرنسية وكذلك الإنجليزية وإلى التنافس القوى بين هاتين الدولتين للحصول على الامتيازات ورغبة كل منهما في ابعاد الأخرى وإحلال محلها هذا ما سيؤدي إلى تأجج العلاقات بينهما وبين الجزائر. كما قدم لنا لمحة عن بداية العلاقات الجزائرية الأمريكية والتي سترتبط هي الأخرى بعلاقات سلمية وأخرى عدائية مع الجزائر في هذه الفترة.

ثم تطرق الزبيري إلى مسألة مهمة ألا وهي مسألة الوجود العثماني في الجزائر والتي تعتبر من القضايا الجدلية الشائكة بين االمؤرخين مبديا رأيه حول هذا الموضوع بقوله: "والواقع أن الوجود العثماني في الجزائر لم يكن احتلالا بل هو في نظرنا عملية انقضاض تشبه تلك التي قام بها يوسف بن تاشفين في حماية الأندلس وإبقائها في حظيرة الإسلام "[1]، وهو موضوع أثاره كذلك بعض المؤرخين الذين يشاركونه الرأي نفسه ونظرا لأهمية هذا الطرح وتفرده سيتم التوسع في مناقشته بعد الانتهاء من ملخص الكتاب.

هذا فيما يخص الأوضاع السياسية ثم ينتقل الزبيري إلى الأوضاع الاجتماعية حيث أشار إلى البناء الاجتماعي ودور كل من الرجل والمرأة مؤكدا أن نظام الاسرة كان ديمقراطيا وأن المجتمع الجزائري لم يكن في يوم من الأيام مجتمعا طبقيا كما كان شائعا في أوروبا في ذلك الوقت ثم تطرق إلى التقسيم الاجتماعي في ذلك الوقت مشيرا أنهم كانوا مقسمين إلى سكان الحضر وسكان البدو وأن سكان البدو كانوا هم الأساس في ثروة البلاد، ثم عرج بالحديث عن التعليم الذي وصفه بأنه كان تقليديا جدا وبعدها تطرق إلى الأوضاع الصحية التي كانت مضطربة بسبب انتشار الأمراض والأوبئة والمجاعات وكل هذا سينعكس سلبا عن التجارة وبالتالي على اقتصاد البلاد كما أشار أيضا إلى الكوارث الطبيعية المتمثلة في المجاعة والجراد اللذان اصابا مقاطعة قسنطينة وكان لهما تأثيرا سلبيا على سير التجارة الخارجية .

وأخيرا تطرق إلى الأوضاع الاقتصادية بداية من قطاع الفلاحة حيث أشار الى المنتوجات الفلاحية المحلية مثل القمح والشعير والصوف الجلود والتبغ مشيرا إلى أن الشرق الجزائري كان من أكبر المناطق المنتجة للقمح الصلب ...الخ، والثروة الحيوانية مثل الابقار والماعز والاغنام ثم عرج بالحديث عن أنواع الملكيات في الجزائر خلال العهد العثماني والتي كانت متنوعة (ملكيات خاصة، ملكيات مشاعة...الخ) ثم ينتقل الى الصناعة التي وصفها بأنها كانت صناعة تقليدية تقتصر على الحرف اليدوية مثل نسيج الزرابي الأقمشة طرز الملابس الشواشي الصوفية وغيرها، مع وجود مطاحن في المدن الكبرى إضافة الى وجود بعض المناجم لاستخراج الفحم والرصاص والرخام مؤكدا أن قسنطينة كانت أهم مدينة صناعية في الجزائر كما قدم لنا تفاصيل حول الحرف وأخيرا تطرق إلى التجارة مشيرا إلى أنها كانت تحتل مكانة مرموقة وكانت من أهم مصادر الثروة في البلاد ولكن للأسف كان جزءا كبيرا هاما منها في يد الأجانب يعبثون به ويستغلونه حسب أهوائهم فقط ولصالح بلدانهم .

الفصل الثاني: تناول الزبيري في هذا الفصل تعريف التجارة الخارجية وأهميتها مؤكدا أنها كانت من أبرز مصادر الثروة في هذه الفترة مشير إلى أن كلمة التجارة تشتمل على عدة معاني:

[1]محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، الشركة الوطنية لنشر والتوزيع، الجزائر، 1972، ص 34.

1/ التجارة الدولية (بين المؤسسات الكبرى) ونستطيع تسميتها تجارة خارجية.

2/ التجارة المحلية (بين الهيئات الوطنية) نستطيع تسميتها التجارة الداخلية والتي تكون بين أبناء الوطن الواحد.

ثم عرج بالحديث عن أنواع التجارة الخارجية التي قسمها بدوره إلى ثلاث أنواع أساسية وهي كالاتي:

1_ التجارة التي تقوم على البيع والشراء: من اختصاص البلدان المنتجة.

2_ التجارة التي تعتمد على الحمولة: أي أنها تصنع سفن وتكريها لتجار وهي من اختصاص البلدان الفقيرة التي لا تصدر ولكنها غنية بالأساطيل.

3_ القرصنة: من اختصاص البلدان البحرية القوية.

كما قدم لنا أهم عوامل ازدهار هذه التجارة ثم تطرق إلى صادرات الشرق الجزائري وارداته حيث أشار إلى نوعين من التجارة الخارجية في الشرق الجزائري النوع الأول يقوم به الأجانب ويتم عن طريق البحر حيث تشرف عليه المؤسسات الكبرى والأساطيل الأجنبية حيث تقوم بتصدير العديد من المواد أهمها المرجان والحبوب والجلود كما قدم لنا الزبيري بعض التفاصيل عن بعض هذه المواد المصدرة مشيرا إلى أن قسنطينة كانت تعتبر مخزنا هاما ومركز استراتيجي للتمويل بالنسبة لأوروبا.

أما فيما يخص الواردات فقد كانت ضئيلة جدا لخصها لنا الزبيري في ثلاث أصناف المواد الأولية والمواد المصنوعة والمواد الغذائية، هذا فيما يتعلق بالنوع الأول من التجارة الخارجية أما النوع الثاني فهو الذي يقوم به الأهالي عن طريق البر، الى كل من تونس والمغرب وبلاد السودان وإيالة طرابلس والحجاز بواسطة قوافل تشرف عليها قبائل متخصصة تسيرها وتحميها حيث قدم لنا لمحة عن هذه المواد المتداولة وعن الطرق التي كانت تتبعها هذه القوافل في نقل هذه المواد ، كما تطرق الى نقطة مهمة وهي أن التجارة الخارجية لم تساهم في الاستفادة من الثورة الصناعية في أوروبا كما أنها لم تعمل على جلب كميات وافرة من المعادن الثمينة مشيرا الى الأسباب الرئيسية من وراء ذلك والتي لخصها في :

1/ **أسباب داخلية:** انسحاب الأهالي من ميدان المنافسة وترك المجال للأجانب مما أدى الى الهيمنة الأجنبية.

2/ **أسباب خارجية:** تمثلت في محاربة الأوروبيين لنشاط التجار المحليين ومنعهم من انشاء تجارة قوية والعمل على ابقائهم دائما في عزلة لكي ينفردوا بهذا النوع من النشاط التجاري.

ومن هنا نستنتج أن التجارة في الشرق الجزائري كانت غير منظمة تعتمد على الحاجات الفردية مع تأثير واضح للهيمنة الأجنبية على الأنشطة الاقتصادية مما أدى إلى ضعف النمو الاقتصادي المحلي.

الفصل الثالث:

تطرق الزبيري في هذا الفصل الى جهود الدول الأوروبية خاصة بريطانيا وفرنسا وتآمرهما للقيام بعمل مشترك لتخلص من الايالة الجزائرية، التي ظلت تواصل جهادها البحري محققة بذلك انتصارات باهرة ، وكان من جملة هذه التحالفات هو القيام بحملات عسكرية ضد الايالة أشهرها حملة إكسموث[1] 1816 التي كان لها تأثير مباشر على مقاطعة قسنطينة حيث أنها سمحت لفرنسا بمواصلة العمل بالموانئ الشرقية مما سيؤدي الى شل جميع أنواع النشاط التجاري ولكن الشلل الحقيقي لهذا الأخير في الشرق الجزائري هو حصار شارل العاشر 15 جوان 1827، فعلى الرغم من أنه كلف الحكومة الفرنسية خسائر فادحة ألا أنه أوقف جميع العمليات التجارية التي كانت تتم عن طريق الموانئ، ومن هنا يتضح لنا أن كل من فرنسا وبريطانيا قد لعبتا الدور الأول في إرغام الايالة على ترك تجارتها الخارجية وشل مختلف الميادين الاقتصادية ثم عرج بالحديث عن العلاقات التجارية مع كل من مارسيليا ومع مالطا وماهون، ليفورنة نلخصها فيما يلي :

أ: العلاقات مع مرسيليا: أشار الزبيري بأن العلاقات التجارية بين كل من مرسيليا هي علاقة قديمة تعود الى العصور الوسطى وكانت تتم بشكل عشوائي ثم تطورت في العهد العثماني عندما سمحت الجزائر لفرنسا بصيد المرجان في الشرق الجزائري وأصبحت تتم عن طريق المعاهدات والاتفاقيات كما أشار أيضا الى أن مرسيليا كانت تستورد كميات هائلة من القمح من شرق الايالة هذا ما سيساهم في تنشيط التجارة الخارجية لشرق الجزائري.

ب: العلاقات التجارية مع مالطا وماهون: وهنا أشار أبلى أن كل من مالطا وماهون كانا على اتصال وثيق مع عنابة في عهد بريطانيا التي كانت تمولهما من حين لأخر بشحنات من الحبوب والمواشي.

ج: العلاقات التجارية مع ليفورنة: حيث أشار الزبيري الى أنا ليفورنة كانت تحتل المرتبة الثانية بعد مرسيليا من حيث أهمية علاقاتها التجارية مع موانئ شرق الايالة كما أشار الى أن الواردات المتبادلة بين ليفورنة وشرق الايالة كانت قليلة على عكس الصادرات التي كانت بكميات كبيرة من القمح وريش النعام وبعض المنتوجات المحلية وقد كان اليهود هم المتحكمون في هذه التجارة من عنابة وميناء ستورة الى ليفورنة.

الفصل الرابع:

جاء هذا الفصل تحت عنوان علاقات تجارية مع افريقية والمشرق نلخصه فيما يلي:

[1] حملة اللورد إكسماوث على الجزائر كانت حملة عسكرية قادتها بريطانيا وهولندا عام 1816 ضد مدينة الجزائر، التي كانت آنذاك جزءًا من الدولة العثمانية. كان الهدف المعلن للحملة هو وضع حد للقرصنة التي كانت تمارسها الجزائر ضد السفن الأوروبية، وتحرير العبيد المسيحيين.

1: **مع تونس:** حيث أشار الزبيري الى أن التجارة بين كل تونس والشرق الجزائري كانت نشيطة جدا بحكم قرب المسافة بينهما مشيرا الى أهم الصادرات والواردات التي كانت تتم بينهما والى أهم الطرق الرئيسية لهذا التبادل إضافة الى عرضه للخريطة الرئيسية لهذا التبادل ووثيقة عرضت فيها مجموع الصادرات والواردات.

2: **مع السودان:** والمقصود هنا هو أقطار مالي والنيجر وشمال نيجيريا فقد أشار الى أن العلاقات التجارية بين كل من الشرق الجزائري وبلاد السودان لم تنقطع الا عندما وقع الاحتلال الفرنسي مشيرا الى أهم المراكز التي كانت تنطلق منها هذه القوافل التجارية "قسنطينة الوادي، تقرت، ورقلة" التي كانت تتجه الى أعماق إفريقيا والى الطرق التي كانت تسلكها كما قدم لنا تفاصيل حول صادرات الشرق الجزائري وواردات بلاد السودان مشيرا الى أن هذه العمليات التجارية مع بلاد السودان كانت تدر على هؤلاء التجار أرباحا طائلة، كما قدم عريضة لمجموع الصادرات والواردات وكذلك الخريطة التي توضح هذا التبادل.

3: **مع المغرب:** كان التبادل التجاري بينهما محدود جدا يشتمل على بعض المنتوجات والمصنوعات الكمالية فقط مشيرا الى قلة المصادر التي تناولت هذا النوع من التبادل التجاري بين الشرق الجزائري والمغرب.

4 الايالة الليبية: فقد كان التبادل التجاري معها قليل يحتل المرتبة الأخيرة وكذلك مع الحجاز فقد كان هذا التبادل مع كل من طرابلس والحجاز سنويا "ولكن مع ذلك كانت عائداته على التجار كبيرة فقد كانت تحقق لهم أرباحا طائلة برؤوس أموال قليلة".

فيما أشار الى نقطة مهمة فيما يتعلق بهذا النوع الثاني من التجارة بقوله " **أن السلطات العثمانية لم تكن تهتم بهذا النوع من التجارة ولو أنها فعلت لتضاعف النشاط بصورة أكثر معقولية واستطاعت أن تجعل منه مصدرا أساسيا من مصادر ثروة الايالة"** [1].

الفصل الخامس:

تحدث الزبيري في بداية هذا الفصل عن ظروف نشأة الشركة المليكة الأفريقية التي أنشأت في 22 فيفري 1741، وإلى اهداف تأسيسها التي لخصها الزبيري في هدفين رئيسيين هما:

ـ هدف وطني يتمثل في جلب الرجاء للمواطنين الفرنسيين وهدف تجاري يتمثل في تحقيق فوائد جمة لأعضائها كما أشار أيضا إلى مؤسساتها على الساحل الجزائري نذكر منها حصن فرنسا القالة وعنابة، كما أشار أيضا إلى مراحل تطور هذه الشركة مبينا أنها عرفت تطورا ملحوظا في العقود الخمسة الأولى منذ إنشاءها وفي

[1] محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، المرجع السابق، ص189.

الأخير قدم لنا تفاصيل دقيقة جدا حول عوامل وأسباب انهيار هذه الشركة وزوالها والتي من أهمها استحواذ اليهود على التجارة لما كان لهم من نفوذ لدى دايات الجزائر لتخلفها بعد ذلك الوكالة الأفريقية التي تأسست في 11مارس 1794، والتي ستسير على نفس هياكل الشركة السابقة بل حتى على نفس الوكلاء المكلفين بالعمليات التجارية.

_ كما قدم لنا الزبيري كل الأحداث والمراحل والصعوبات التي حالت دون تطور هذه المؤسسة بأدق التفاصيل مما سيؤدي في نهاية المطاف إلى إغلاق هذه الوكالة في جانفي 1801 على اثر الحملة الفرنسية على مصر، لتتحول هذه المؤسسات الى البريطانيين في سنة 1807 وكانت نوايا هذه الأخيرة هي إقامة قواعد عسكرية في الجزائر الشرقية إلا أنها ستفشل في تحقيق هدفها، وفي الأخير سيؤدي التنافس الشديد بين كل من اليهود والإنجليز والفرنسيين إلى اضطراب أوضاع مؤسسات هذه الأخيرة، هذا ما سيؤدي إلى القضاء على مصالح فرنسا التجارية في الشرق الجزائري .

الفصل السادس:

تحدث الزبيري في هذا الفصل عن الظهور الأول لليهوديين (بكري وبوجناح) كشخصيتين عاديتين لا يملكان قوت يومهما ليتحولا إلى شخصيتين كبيرتين بعد أن تظافرت جهودهما ويؤسسوا شركة واحدة مرجحا أنه تم انشاء هذه الشركة سنة 1793، ليتحكما في التجارة الخارجة وينافسان الشركة الملكية الافريقية، مشيرا إلى سياسة هؤلاء التي نجحت في استمالة الشخصيات الرسمية وأعيان الإيالة وهذا ما سيفتح لهما مجالا واسعا في الاستحواذ على التجارة الخارجية، مؤكدا أن السبب في فوز هؤلاء اليهود هو أنهم كانوا يحضون بثقة السلطات خاصة في عهد الدايين "حسن ومصطفى" بعد أن عرفوا استغلال الأوضاع لصالحهم ومن أهم الخدمات التي قدموها للديات قصد التقرب منهم ونيل ثقتهم هي إعطائهم معلومات جد مهمة متعلقة بشؤون الإيالة خاصة وأنهم كانوا يجيدون اللغة العربية ويعرفون عادات الجزائريين لذلك كانوا يتعاملون معهم مباشرة وهذا ما ساعدهم على فرض سيطرتهم داخليا وخارجيا على التجارة الخارجية والوصول الى مبتغاهم بكل سهولة وتحقيق انتصارات باهرة في شرق الإيالة وفي فرنسا نفسها .

كما قدم لنا تفاصيل عن الظروف الأولى لبداية قضية الديون الفرنسية والتي ستكون سببا في احتلال الجزائر كما قدم لنا التفاصيل حول تجاوزات اليهود الذين أصبحوا يتدخلون في شؤون كبيرة تخص الإيالة مما سيؤدي لغضب وسخط الأهالي من تصرفاتهم التي تجاوزت كل اطار تجاري هذا ما سيدفع أحد الميليشين إلى اطلاق الرصاص على "نفتالي" وقتله لتتعرض الشركة اليهودية الى أول ضربة موجعة لتليها ضربة أخرى تمثلت في عزل

وقتل الداي مصطفى السند الأول لهذه الشركة بالنسبة لهؤلاء اليهود ليخلفه أحمد بن على "احمد خوجة"، الذي سيلعب هو الأخر دورا في حماية مصالح الشركة اليهودية بهدف الحفاظ على شبكات الجاسوسية التي كانت تزوده بالمعلومات الهامة داخل البلاد وخارجها حسب ما رجحه الزبيري، كما أشار الى مساعدات اليهود للبريطانيين الذين كانوا يخطون لإنشاء قواعد عسكرية في عنابة والباستيون، وبهذه الخطة المحكمة من قبل اليهود سيتخلصون من فرنسا ويترك لهم المجال في الاستحواذ على جميع أنواع التجارة في الشرق الجزائري خاصة بعدما اكتشفوا وتأكدوا أن هدف بريطانيا هو انشاء قواعد عسكرية وليس من أجل الحصول على المؤسسات الإفريقية لاحتكار التجارة فيها، وبهذه الخطة حققت الشركة اليهودية انتصارات وأرباح طائلة ستستمر حتى سنة 1827، والحصار الفرنسي على الجزائر ليضع حدا لجميع أنواع نشاطها وفي الأخير أشار الزبيري أن نشاط هذه الشركة كان مقتصرا على عمليات التصدير أما عمليات الاستيراد فكانت قليلة جدا متمثلة في المواد الكمالية فقط (التوابل، العطريات، الرخام، الخردوات...الخ) وفي ختام هذا الفصل نستنتج أن السبب الأول والأهم في نجاح اليهود في هذه التجارة يعود الى خبرتهم وذكائهم في التعامل مع كل من ديات الجزائر والأهالي من جهة ومع مسؤولي الدول الأخرى خاصة (بريطانيا وفرنسا) من جهة أخرى حيث أنهم عرفوا كيف يستغلون ذلك التنافس الحار بين هاتين الدولتين لاحتكار عمليات التصدير في شرق الإيالة لصالحهم .

رابعا/ كتاب "التجارة الخارجية للشرق الجزائري" في الميزان

في ختام هذا العرض لا يسعني إلا أن أتقدم بجزيل الشكر والعرفان للدكتور محمد العربي الزبيري _رحمه الله_ على هذا الجهد القيم الذي بذله في هذا الكتاب المهم، والذي أضاء لنا جانبا مهما من تاريخ الجزائر الاقتصادي وهو التجارة الخارجية للشرق الجزائري فقد قدم لنا معلومات دقيقة بلغة واضحة وأسلوب سهل جعلنا نكتشف كيف كانت بلادنا تتحرك وتتعامل مع العالم الخارجي، في تلك المرحلة التاريخية المهمة.

وقبل أن أنهي هذا العرض أود أن أتوقف قليلا عند أهم الإيجابيات والسلبيات التي لاحظتها عند قراءتي لهذا العمل المميز حسب رأي الشخصي:

أول ما لفت انتباهي أثناء قراءتي لهذا الكتاب هو الأسلوب السهل والمبسط الذي استعمله الدكتور محمد العربي الزبيري والأسلوب السهل يعد من أهم مميزات الكتاب بالنسبة لي مما جعل هذا الكتاب في متناول مختلف القراء سواء كانو طلابا أو باحثين أو حتى قراء عاديين مهتمين بتاريخ الجزائر، فالزبيري لم يلجأ الى المصلحات الغامضة أو المعقدة التي قد تتعب القارئ أو تبعده عن الفكرة الأساسية أو حتى تجعله يشعر بالملل من قراءة الكتاب بل حاول أن يبسط المصطلحات لإيصال المعلومة بشكل سلس وهذه النقطة في حد ذاتها تحسب

للكاتب لأنه جعل من موضوع حساس كالتجارة الخارجية في العهد العثماني موضوعا قابلا للفهم والاستيعاب من دون أي تعقيد.

النقطة الثانية التي أثارت اعجابي في هذا الكتاب هي طريقة تقسيمه وترتيبه المنهجي للكتاب وتعتبر هذه النقطة نقطة قوة في هذا الكتاب، حيث قام بتقسيمه إلى ست فصول متناسقة ومرتبة هذا التقسيم جعل قراءة الكتاب سهلة ومشوقة لأن القارئ لا يشعر وكأنه يقرأ نصا طويلا ومملا بل يقبل على كل فصل بحماس وكأنه يفتح بابا جديدا في كل مرة، حتى أن عناوين الفصول كانت واضحة وبسيطة ومثيرة للاهتمام في نفس الوقت تجعل القارئ يتشوق لقراءة واكتشاف ما بداخل كل فصل، وملاحظة أخرى أيضا كان الدكتور العربي الزبيري يقدم خلاصة لكل فصل على حدة وهو أمر يساعد كثيرا على تثبيت المعلومات وتوضيح الأفكار الأساسية خاصة إذا أراد القارئ مراجعة ما قرأه بسرعه دون الرجوع إلى كل التفاصيل وهي أيضا نقطة تحسب للزبيري لأنه لم يترك القارئ ينتقل من فصل لأخر بشكل عشوائي وكل هذا يدل على أن الزبيري كتب بكل عناية هذا الكتاب.

ومن النقاط الإيجابية التي لاحظتها في هذا الكتاب أن المؤلف عندما يقدم فكرة معينة لا يمر عليها مرور الكرام أو يتركها غامضة بل يقوم بشرحها بشكل مفصل وبأسلوب سهل وسلس فهو يعطي لكل فكرة حقها من التوضيح بل ينتقل بشكل تدريجي ومنطقي بحيث تكون نهاية الفكرة الأولى بداية طبيعية للفكرة الثانية، وهذا ما جعلني شخصيا استمتع بقراءة هذا الكتاب.

بيد أن كل هذه المميزات لم تمنع من وجود بعض الثغرات التي لاحت لي في افق هذا الكتاب أذكر منها: رغم احتواء الكتاب على بعض الجداول والخرائط إلا أن عددها يبقى محدودا خاصة أن الموضوع اقتصادي وتجاري، فهو موضوع يحتاج إلى خرائط مفصلة ورسوم بيانية لتكون الفائدة أكثر.

وفي نهاية هذا العرض أعبر عن تقديري الكبير للعمل الذي قدمه الدكتور "محمد العربي الزبيري" ــرحمه اللهــ فقد ساعدني في فهم الكثير من المعلومات حول النشاط التجاري فهو يعد من الكتب القيمة والمراجع المهمة التي أضاءت لنا جانبا مهما من تاريخ الجزائر الاقتصادي خلال العهد العثماني وخاصة في الجهة الشرقية من البلاد.

بعد استعراض مختلف جوانب الكتاب وفصوله وما تضمنه من تحليل لمسارات التاريخ الجزائري وتفاعلاته نعود في هذا الجزء من المذكرة الى قضية أثارها الدكتور محمد العربي الزبيري في الفصل الأول لكونها تستحق الوقوف عندها، نظرا لحساسيتها وأهميتها التاريخية، فالزبيري ينفي كل الادعاءات التي تقال على الوجود العثماني بالجزائر بأنه كان احتلالا وليس استنجاد مؤكدا أن الإخوة عروج وخير الدين جاءوا إلى الجزائر إلا بطلب ملح من الأهالي

وكانت استجابة هؤلاء الإخوة واجبا دينيا خاصة وأن الجهاد البحري كان نشطا قصد انقاذ أبناء الأندلس المسلمين مؤكدا أن الحديث عن الاتراك في الجزائر خطأ فادح، [1]وأن التسمية في حد ذاتها خاطئة بل إن هذا المفهوم من محض الخيال[2]، عمد المؤرخون الغربيون وبعض المؤرخون العرب إلى تكريسه، إما عن جهل أو بقصد الإساءة إلى الإسلام،[3] لأن الأتراك كجنس لم يأتوا إلى الجزائر مطلقا فاللذين أنقذوا الجزائر من الاستعمار الاسباني هم جماعة من المسلمين جاءوا من بقاع مختلفة تتشكل منها دولة الخلافة كألبانيا واليونان والبلقان،[4] ومن الواجب على كل مسلم قادر الدفاع على أرض الإسلام المهددة والتخلي عن الواجب عند المقدرة خيانة،[5]حتى أن الأتراك أنفسهم كانوا يعتبرون الجزائر وطنا لهم ويعاملون أهلها بمحبة واحترام.

وقد عبر قواد الحاميات عن هذا بقولهم لجنودهم بأننا لم نغزو هذا الشعب بالقوة أو السيف ولم نحكمه بالإكراه، بل صرنا جزءا منه بالاعتدال واللين ويؤكدون أنهم لم يكونوا رجال دولة مفروضين بل كانوا يكسبون مكانتهم من خلال تعاملهم مع أهل البلاد، ولهذا رأوا أنه من واجبهم العمل على خدمة شعب الجزائر كأنهم يخدمون أنفسهم،[6] وهذا يثبت بشكل واضح أن الادعاء الشائع أن العثمانيين دخلوا الجزائر محتلين مثل الاسبان والفرنسيين هو حكم غير موضوعي، فأصحاب هذا الرأي لم يعتمدوا على مصادر غير محايدة بل استندوا على مذكرات الأسرى الأوربيين ورجال الدين فقط،[7]

فالفترة العثمانية تعتبر من أزهى الفترات في تاريخ الجزائر لكنها في الوقت نفسه من أكثر الفترات التي طالها التشويه والتحريف من قبل المدرسة الاستعمارية في كتابة التاريخ، فقد لجأت هذه الأخيرة الى مختلف الوسائل

---

[1]محمد العربي الزبيري، في رحاب مدرسة التاريخ الوطنية، المجلة التاريخية الجزائرية، العدد 9 سبتمبر 2018، جامعة محمد بوضياف، ص9.

[2]محمد العربي الزبيري، الغزو الثقافي في الجزائر، 1962_1982، الطبعة2، دار الحكمة للنشر، الجزائر، 2015، ص144.

[3]محمد العربي الزبيري، في رحاب مدرسة التاريخ الوطنية، المرجع السابق، ص 25.

[4]محمد العربي الزبيري، أفكار جارحة في السياسة والثقافة والتاريخ، الطبعة 1، دار الحكمة للنشر، الجزائر، 2015، ص 397.

[5]محمد العربي الزبيري، مدخل الى تاريخ المغرب العربي الحديث، الطبعة2، دار الحكمة للنشر، الجزائر، 2015، ص58

[6]حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، تقديم وتحقيق وتعريب محمد العربي الزبيري، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2006، ص93

[7]أرزقي شويتام، طبيعة الحكم العثماني في الجزائر1519_1830، مجلة التاريخ المتوسطي، المجلد 4، العدد1، جوان 2022، جامعة الجزائر2، ص103.

لتصوير الحكم العثماني كاحتلال أجنبي وزعمت أن فرنسا هي من أنهت هذا الاحتلال، [1] فالزبيري يرجع كل هذه الادعاءات المشوهة والمزيفة التي جاءت بها المصادر الأجنبية التي تتحدث عن الوجود العثماني في الجزائر بمصطلح "**الاستعمار التركي**" أو "**السيطرة العثمانية**"فقط حتى يبدوا الاستعمار الفرنسي بديلاوحتى لا يقال أن فرنسا اعتدت على الشعب الجزائري[2]، وترسيخ فكرة أن الاستعمار الفرنسي هو وجود إيجابي جاء من أجل مساعدة وتخليص الجزائر من استبداد الاتراك واضطهادهم.[3]

وفي الأخير يمكن القول إن رأي الزبيري في هذه المسألة الشائكة هو "**أن الوجود العثماني الوجود العثماني في الجزائر لم يكن احتلالا بل عملية انقاذ جاءت في وقتها لمنع البلاد من السقوط في قبضة المستعمرين الذين تكالبوا من كل صوب يريدون امتصاص خيراتها**"[4]كما جاء على لسانه في كتاب مدخل الى تاريخ المغرب العربي الحديث.

إلا أن موقفه هذا لم يمنعه من ذكر سلبيات الوجود العثماني نلخصها في الأفكار الرئيسية التالية:

عدم الاندماج مع الشعب الجزائري

سياسة التفرقة وتشجيع الطائفية للقضاء على المعارضة

خلق العداوة والبغضاء بين القبائل لأن ذلك يحافظ على مكانتهم وبقائهم في الجزائر.

وهذا ما ذهب إليه معظم المؤرخين الجزائريين بداية من شيخ المؤرخين أبو القاسم سعد الله الذي لخص سلبيات الوجود العثماني وكذا إيجابيات وخلص بالنتيجة التالية أن الدولة العثمانية كانت تعمل لمصلحة الجزائريين فقد أخذت على عاتقها الدفاع عن ترابهم الوطني ومعتقداتهم ونظمهم السياسية وكانت إلى جانب ذلك تعقد الصفقات والمعاهدات الدولية باسمهم وتسن القوانين والتشريعات بإرادتهم ذلك أن هذه الدولة كانت في الحقيقة موجودة باسمهم وإذن فقد كانت "جزائرية" بكل ما تحمله الكلمة من معنى[5]، أما الباحث والمؤرخ نصر الدين سعيدوني فيرى أن الوجود العثماني في الجزائر لم يدرس بشكل كافي ولم يأخذ حقه في الدراسة إذ ركزت الدراسات الفرنسية على فترتي الحكم الروماني والاستعمار الفرنسي فقط وأهملت الفترة العثمانية التي قال عنها أنها الفترة التي

---

[1]محمد العربي الزبيري، مقاومة الحاج أحمد باي واستمرارية الدولة الجزائرية، الطبعة 1، دار الحكمة لنشر، الجزائر، 2015، ص28

[2]محمد العربي الزبيري، الغزو الثقافي في الجزائر، 1962_1982، المرجع السابق، ص 93.

[3]محمد العربي الزبيري، المرجع نفسه، ص 94.

[4] محمد العربي الزبيري، مدخل الى تاريخ المغرب العربي الحديث، المرجع السابق، ص58.

[5]أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، طبعة خاصة، ج1، دار البصائر للنشر والتوزيع، 2007، ص65.

عرفت أثناءها الجزائر مقومات الأمة وكيان الدولة فهو يعتبر الحكم العثماني ضرورة تاريخية للحفاظ على البلاد من الغزو الأوروبي[1].

واعتبر مولود قاسم نايت بلقاسم أن الخلافة العثمانية كالسيف الذي دافعت به الأمة الإسلامية عن نفسها وإلا كانت حالتها اليوم كحالة فلسطين، فالجزائر في هذا العهد كانت دولة بكل مميزاتها[2].

كما يؤكد المؤلف أحمد توفيق المدني أن الوجود العثماني كان نتيجة استنجاد أهالي الجزائر بالإخوة بربروس وأن الوجود العثماني لم يكن استعمارا لقوله: "**لم يكن الأتراك مستعمرين لأنهم لم يملكوا أرضا ولا أبعدوا مزارعا عن مزرعته ولم يكونوا محتلين لأن جيشهم لم يكن ذا عدد يمكنهم أصلا من احتلال جزء من البلاد**"[3]، فهو يرى أن الجزائر خلال العهد العثماني توحدت وظهرت قوتها العسكرية في البر والبحر، مؤكدا أنه لولا تدخل العثمانيين ووقوفهم في وجه الغزاة الاسبان لأصبحت المدن الساحلية كلها مدن اسبانية بحتا، كسبتة ومليلة بالمغرب الأقصى[4].

وهذا ما أكده ويليم سبينسر، في كتابه" **الجزائر في عهد رياس البحر**" أن العثمانيين لم يكونوا مهتمين بالدرجة الأولى بالحصول على أراضي المسحيين في شواطئ البحر الأبيض المتوسط حيث قال: "أن الواجب العثماني كان يتضمن في المقام الأول استرجاع موانئ الشمال الإفريقي المحتلة من طرف الإسبان كأجزاء من بلاد الإسلام التقليدية "[5]، فقد كان أول اصطدام بين العثمانيين والاسبان هو عندما طلب أهالي بجاية من البحارة العثمانيين عروج وخير الدين بربروس بمساعدتهم في صد وطرد الاسبان.

وفي الأخير يمكننا أن نختم هذا الموضوع الجدلي بقول الدكتور محمد العربي الزبيري: "صحيح أن الخلافة العثمانية عرفت في حياتها أنواعا من المد والجزر ومرت بمراحل مختلفة بعضها مشرف وبعضها يدعوا إلى كثير من

---

[1]ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية: دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط2، دار البصائر للنشر والتوزيع الجزائر، 2009، ص 29.

[2]فارس خيرة، التأصيل الثقافي لدى "مولود قاسم نايت بلقاسم"، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الذكتوراه في الفلسفة، 2017_2018، جامعة مستغانم، عبد الحميد بن باديس، ص89.

[3]أحمد توفيق المدني، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر، 1754_1830، الشركة للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص8.

[4]أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766_1791، سيرته _حروبه_أعماله_نظام الدولة والحياة العامة في عهده، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص8.

[5]ويليام سبينسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب وتقديم عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006، ص10.

الحصرة والأسى، ولكن ذلك هو شأن العديد من الأنظمة في مختلف الأماكن والأعصر وعليه فليس من حقنا التنكر لها والقاء اللوم كله عليها بل إن الواجب يحتم علينا أن نتناول كل الميادين في كل المراحل بالتحليل والبحث وأن ننطلق دائما من الواقع التاريخي والحقيقة الحضارية"[1].

المطلب الثاني: كتاب مدخل الى تاريخ المغرب العربي الحديث.

أولا/ دراسة شكلية للكتاب

الاسم الكامل للمؤلف: محمد العربي الزبيري

عنوان الكتاب: مدخل الى تاريخ المغرب العربي الحديث

عدد الصفحات: 160 صفحة

دار ومكان النشر: دار الحكمة لنشر والتوزيع. الجزائر، 2015، الطبعة الثانية

ثانيا/ الوصف الخارجي للكتاب:

يتميز الكتاب بواجهته الامامية الزرقاء في أعلاها في الجانب الأيمن شعار الذكرى الستون لاندلاع الثورة التحريرية وبجانبها اسم الكاتب" الدكتور محمد العربي الزبيري" باللون الأبيض يتوسط الكتاب كتابة بالخط الكوفي "**مدخل الى تاريخ المغرب العربي الحديث**" باللون الأبيض، وفي الأسفل شعار دار الحكمة للنشر والتوزيع.

ثالثا/ مضمون الكتاب

الفصل الأول.

تطرق محمد العربي الزبيري في هذا الفصل إلى أوضاع المغرب العربي الحديث بإعطاء لمحة عن الأوضاع السياسية التي كانت سائدة في هذه الفترة وقد قام بتقسم هذه الفترة إلى فترتين رئيسيتين هما فترة الفوضى والغموض والثانية فترة عادية.

1/ **فترة الفوضى والغموض** : وقد أشار إلى أن هذه الفترة قد بدأت في نهاية القرن 15 م وتنتهي في 1529، بالنسبة للجزائر وفي سنة 1574 بالنسبة للمغرب وتونس ، ثم بعد ذلك يشرع في الحديث عن الأوضاع السياسية في المغرب الأقصى بداية من عهد الاسرة الوطاسية ثم إلى عهد الاسرة السعدية التي أخذت الحكم من الأسرة الأولى وقد قدم لنا تفاصيل حول هذه الاسرة وكيف تحالفت مع الاسبان والبرتغال ضد الجزائر ، ثم بعد ذلك ينتقل إلى تونس التي كانت آنذاك تخضع لحكم الحفصيين، وقدم لنا تفاصيل حول نظام حكم هذه الأسرة

[1]محمد العربي الزبيري، الغزو الثقافي في الجزائر، 1962_1982، المرجع السابق، ص60.

وعرض لنا الاضطرابات والثورات التي شهدتها البلاد خاصة في عهد الحسين بن محمد الخامس وغيرها من التفاصيل ثم انتقل إلى الجزائر والتي خصص لها الجزء الأكبر وتحدث عنها بشكل مفصل حيث أشار إلى أن الجزائر في هذه الفترة تعرضت إلى الغزو الاسباني وأصبحت المدن الساحلية تسقط الواحدة تلوى الأخرى، في يد الاسبان بداية من المرسى الكبير وهران بجاية الجزائر وخضوع مدن أخرى دلس شرشال مستغانم، وكيف استنجد أهالي الجزائر بالاخوة بربروس في البداية إلى أن استطاع خير الدين بربروس القضاء على المعارضة المحلية التي ظهرت بعد مقتل عروج وتم تعيين خير الدين بايلربايا يحكم الجزائر باسم الدولة العثمانية وهنا أصبحت الدول الأوربية تهاب الجزائر وتحسب لها ألف حساب

2/ **الفترة العادية:** حيث تحدث في البداية عن المغرب الأقصى في هذه الفترة بداية من معركة الملوك الثلاثة (معركة وادي المخازن) 4_8_1578، وعن عهد أحمد المنصور ونظام حكمه وأهم الأحداث التي صنعت له شهرة واسعة والتي لخصها في الأسباب التالية : حملة السودان ، مشروع أنطونيو، التحالف مع هولندا، بعدها ينتقل الحكم إلى الأسرة العلوية برئاسة الرشيد أخو محمد الشريف وبتأسيس هذه الأسرة يدخل المغرب في عهد الاستقرار ليخلفه المولى إسماعيل الذي كرس جهوده للبناء والتشييد وخلد اسمه في سجل سلاطين المغرب، كما ذكر أهم الإنجازات التي قام بها وذكر علاقته مع فرنسا وبريطانيا وهولندا وتونس ليحكم بهده سيدي محمد وبعد وفاته ينتقل الحكم إلى مولاي سليمان إلى سنة 1822، ومنه إلى مولاي عبد الرحمان الذي سيكون احتلال الجزائر في عهده، ثم ينتقل إلى تونس ويشرع في ذكر أوضاعها في هذه الفترة بشكل موجز حيث يقول أن هذه المرحلة (الفترة العادية) بدأت في تونس بتأسيس الإيالة على يد سنان باشا ويشر الكاتب إلى مراحل الحكم الثلاثة التي مرت بها الايالة التونسية وهي الباشوات ، الدايات والبايات وستبقى هذه المرحلة الأخيرة قائمة إلى أن تتخلص البلاد من الحماية الفرنسية وتحصل على استقلالها نهائيا سنة 1957، وأعطى لنا لمحة عن كل مرحلة من هذه المراحل كما تطرق أيضا إلى سياسة تونس الخارجية في هذه الفترة والتي قال أنها كانت نشيطة مع الكثير من البلدان وأخيرا تطرق إلى الجزائر والتي كانت لها حصة الأسد في هذا الكتاب حيث يقول العربي الزبيري أن الفترة العادية قد بدأت في الجزائر عندما تمكن خير الدين من تحقيق هدفين أساسيين وهما :

1_ الانتصار على ابن القاضي واخراجه سنة 1527

2_ استرجاع حصن البنيون في سنة 1529 وطرد الاسبانيين منه.

ثم تطرق إلى المراحل التي مرت بها الجزائر خلال العهد العثماني بإعطاء لمحة موجزة عن كل مرحلة عهد البايلربايات (1518_1587)، عهد الباشاوات (1587_1659) ، عهد الاغوات (1659_1671)،

عهد الدايات (1671_1830)، كما ذكر الهيئات التي كانت تعتمد عليها الحكومة ونظام الحكم الذي كان سائدا في الجزائر خلال هذه الفترة وبعدها تطرق لذكر العلاقات الدولية التي كانت تربط الجزائر مع الباب العالي طيلة العهد العثماني حيث يقول "**أن العلاقة بينهما لم تكن يوما من الأيام علاقة مستعمر بمستعمر بل كان الرابط الوحيد بينهما هو الدين والمصالح المشتركة** " كما تطرق إلى إعطاء لمحة عن العلاقة مع فرنسا وإنجلترا وكيف كاناتا هاتين الدولتين تتسابقان وتتنافسان على ربط علاقات مع الجزائر والحصول على امتيازات كما تطرق أيضا إلى العلاقات الجزائرية الامريكية ثم أشار إلى الحملات التي تعرضت لها الايالة بعد انعقاد مؤتمر فيينا (1814_1815) وأهمها حملة اكسماوث[1] مشيرا إلى أسبابها ونتائجها وثانيا حصار 1827.

وفي الأخير عدد لنا الزبيري أسباب الحصار الفرنسي على الجزائر عند الفرنسيين والتي اعتبرها الزبيري مجرد حجج ملغمة لتبرير عملية الاحتلال مبررا موقفه هذا بعدة حجج يسقط فيها كل الاعذار والحجج الفرنسية الكاذبة.

الفصل الثاني

تحدث العربي الزبيري في الفصل الثاني من هذا الكتاب عن الأوضاع الاقتصادية في المغرب العربي، في كل من المغرب الأقصى وتونس والجزائر بدأ من قطاع الفلاحة حيث أشار إلى أن أراضي المغرب العربي بصفة عامة كانت أراضي فلاحية حيث تطرق إلى أنواع التربة والمنتوجات والثروة الحيوانية وأنواع الملكية مشيرا إلى أن الملكية في تلك الفترة كانت متشابهة في جميع البلدان الإسلامية ثم انتقل الى الصناعة التي وصفها بأنها لم تكن صناعة بأتم معنى الكلمة بل كانت صناعة تقليدية مشيرا الى الأسباب التي حالت دون تطورها وأخيرا تطرق إلى التجارة بنوعيها الداخلية والخارجية وأشار أيضا إلى المواصلات البرية والبحرية والنهرية التي تعتبر هي عماد التجارة مثل (قابس، صفاقس، تونس، ستورة، القل ، الجزائر ، وهران، سبتة، أغادير ...)، وأشار أيضا الى المواصلات البرية بنوعيها السلطانية والجهوية، مشيرا الى أن تجارة الجزائر مع الموانئ الأوروبية كانت ضعيفة جدا بحكم الصراع الدائم بينها وبين الدول المسيحية على عكس علاقاتها مع البلدان المجاورة وخاصة تونس فقد كانت علاقتهم التجارية نشيطة جدا، كما أشار أيضا إلى المعاملات مع السودان ووصفها بأنها كانت تحتل مكانة مرموقة في تجارة المغرب العربي الخارجية وكانت المقايضة هي الطريقة الغالبة في جل عمليات التبادل ، وأخيرا تطرق الى المالية مشيرا الى أن أهم موارد الثروة في بلاد المغرب العربي الحديث تتمثل في الجهاد البحري وبعض المداخيل الأخرى مثل (الدنوش الرسوب المفروضة على قواد دار السلطان ، الجزية...وغيرها من المداخيل الأخرى) .

[1]محمد العربي الزبيري، مدخل الى تاريخ المغرب العربي الحديث، المرجع السابق، ص67.

كما قدم لنا الزبيري لوحة بجميع العملات الوطنية السائدة في تلك الفترة.

رابعا/ كتاب "مدخل الى تاريخ المغرب العربي الحديث" في الميزان

كتاب "**مدخل الى تاريخ المغرب العربي الحديث**" للمؤلف محمد العربي الزبيري يعتبر واحدا من أهم الاعمال الاكاديمية المهمة في مجال تاريخ المغرب العربي الحديث فالكتاب يقدم تحليلا شاملا للتاريخ السياسي والاقتصادي للمنطقة، ويعتبر مرجعا أساسيا للمهتمين بدراسة هذه الحقبة، ويمكن تسجيل نقاط القوة في هذا الكتاب في النقاط التالية:

-**شمولية الموضوعات**: فالكتاب يغطي فترة زمنية طويلة من سقوط الاندلس 1492 وانعكاساتها على بلدان المغرب العربي الى سنة 1827، والحصار الفرنسي على الجزائر.

ـ **التحليل العميق**: حيث قدم لنا الزبيري في هذا الكتاب تحليلا دقيقا للعديد من القضايا السياسية والاقتصادية التي أثرت في المنطقة ومن أهم هذه القضايا أنه عالج قضية الحصار الفرنسي على الجزائر والأسباب الحقيقية من وراء هذا الأخير بشكل سلس يساعد القارئ في فهم كل تفاصيل هذا الحصار.

ـ **الأسلوب السهل والمباشر**: بالرغم من الطابع الأكاديمي للكتاب إلا أنه يتميز بالسلاسة والوضوح والبساطة مما يساعد القارئ في فهم تسلسل الاحداث هذا ما يجعل الكتاب مناسبا للقراء الذين يبحثون عن معلومات موثوقة وعميقة.

أما ما يحسب على الزبيري في هذا الكتاب هو تركيزه على الجانب السياسي والاقتصادي فقط وأهمل في المقابل الجانب الاجتماعي والثقافي الذي يكون ضروريا وأساسيا في فهم التاريخ وخاصة أنه عنون الكتاب بـ "مدخل الى تاريخ المغرب العربي الحديث" فعند قراءة العنوان يتوقع القارئ أن الكاتب قد تطرق إلى جميع الجوانب السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية والثقافية، لفهم تاريخ هذه البلدان كاملة.

كتاب مدخل الى تاريخ المغرب العربي الحديث هو كتاب أكاديمي قوي يقدم لنا معلومات قيمة عن تاريخ المنطقة من منظور شامل ويعتبر مرجعا ضروريا للمتخصصين بالتاريخ الحديث للمغرب العربي، خاصة وأنه اعتمد على مصادر متنوعة منها العربية والأجنبية الموثوقة التي تعزز من مصداقية ما يقدمه وما يطرحه.

المبحث الثاني:جهود م.العربي الزبيري في ميدان الترجمة.

المطلب الأول:كتاب المرآة.

أولا/ دراسة شكلية للكتاب.

الاسم الكامل للمؤلف: حمدان بن عثمان خوجة

عنوان الكتاب: المرآة

عدد الصفحات: 276

دار ومكان النشر: منشورات انيب ANEP الجزائر، دون طبعة

ثانيا/الوصف الخارجي للكتاب: يتميز الكتاب بواجهته الأمامية البنفسجية في أعلاها من الجانب الأيمن شعار سلسلة التراث، وبجانبها اسم الكاتب "حمدان بن عثمان خوجة" باللون الأبيض وتتوسطها كتابة بالخط الكوفي "المرآة" باللون الأسود وتحتها بالخط العادي باللون الأبيض "تقديم وتعريب وتحقيق د، محمد العربي الزبيري" وتحتها كتابة صغيرة باللون الأبيض تصدير عبد العزيز بوتفليقة، وبالأسفل شعار منشورات أنيب باللون الأخضر.

ثالثا/التعريف بالكاتب حمدان خوجة.

يعتبر حمدان بن عثمان خوجة من الشخصيات السياسية المهمة في الجزائر وقد أظهر حبه الكبير لوطنه من خلال جهوده في خدمته خاصة في نهاية الحكم العثماني، وبداية الاحتلال الفرنسي سنة 1830، ينحدر حمدان بن عثمان خوجة من أصل كرغلي أي من أب تركي وأم جزائرية وقد أكد هذا بنفسه بقوله: "**أنا الكرغلي بالذات كنت مستشارا في حكومة الداي**" [1]، أما عن سنة ميلاده فهي غير مذكورة بدقة في المصادر، غير أن أغلب الباحثين يرجحون أنه ولد سنة 1773،[2] كان ينتمي إلى أسرة جزائرية عريقة، تملك الكثير من الأراضي الشاسعة والمحلات التجارية[3]، وجاء هذا على لسانه في كتابه بقوله: "وشخصيا فإنني أملك العديد من هذه القنوات على

[1]مراد بوعباش، أعلام الجزائر: حمدان بن عثمان خوجة _المواقف السياسية والقضية الوطنية_، مجلة الباحث، العدد3، ص13.

[2]حميدة عميراوي، دور حمدان خوجة في تطوير القضية الجزائرية (1827_1840)، مطابع دار البحث، قسنطينة، الجزائر، 1987، الطبعة1، ص60.

[3]موراد بوعباش، المرجع السابق، ص112.

مقربة من مزارعي"[1]، فقد كان يملك أراضي واسعة في سهول متيجه، وكان والده يدعى عثمان[2] وكان يتولى منصب امين عام للدولة، وقد قال هذا أيضا في كتابه: "**لقد كان والدي مشرعا وأستاذا بالقانون كما أنه اشتغل مقطعجي أو كاتبا أول**" [3]، ومن أهم أعماله نذكر:

اتحاف المنصفين والأدباء عن الاحتراس من الوباء

رسالة اسماها "حكمة العارف بوجه ينفع المسألة ليس في الإمكان أبدع"

ترجم لكتاب نور الايضاح ونجاة الأرواح، مذكرة قدمها للجنة الافريقية بالإضافة إلى الكثير من الرسائل قدمها لشخصيات مختلفة[4].

المرآة وهي موضوع دراستنا فقد ألفه في باريس سنة 1833 باللغة العربية ثم ترجمه صديقه **حسونة الدغيس** إلى الفرنسية تحت عنوان "لمحة تاريخية واحصائية عن إيالة الجزائر"[5]، وذلك أواخر أكتوبر 1833، كما ترجمه إلى العربية اثنان من الباحثين الجزائريين ، ترجمة الأستاذ محمد بن عبد الكريم سنة 1972 وهي ترجمة كاملة لمحتويات الكتاب بما فيها الوثائق التي ضمها المؤلف في كتابه والتي جاءت على شكل قسم ثالث في الكتاب وهي منشورة عن دار مكتبة الحياة ببيروت، والأخرى هي ترجمة الدكتور محمد العربي الزبيري المنشورة من قبل الشركة الوطنية سنة 1975، وهي مبتورة من القسم الثالث، الذي يضم مجموعة من الوثائق الخاصة للمؤلف.[6]

توفي حمدان بن عثمان خوجة في إسطنبول سنة 1842، بعد حياة حافلة بالنشاط والعمل في خدمة الجزائر والعالم الإسلامي، ورغم عدم شهرته الواسعة إلا أنه يعد من أكبر علماء زمانه فرحمه الله.[7]

---

[1]حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، ترجمة: محمد العربي الزبيري، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2006، ص48.

[2]عبد الحفيظ موسم، منهج الكتابة التاريخية عند حمدان بن عثمان خوجة من خلال كتابه المرآة، مجلة عصور، المجلد22، العدد1، جوان 2022، ص 231.

[3]حمدان بن عثمان خوجة، المرجع السابق، ص92.

[4]حميدة عميراوي، المرجع السابق، ص74_79.

[5]المرجع نفسه، ص75.

[6]عبد الحفيظ موسم، المرجع السابق، ص 233.

[7]عبد المجيد بن عدة، رائد المقاومة السياسية الحديثة في الجزائر_السيد حمدان بن عثمان خوجة_ (1773_1845)، ص21.

رابعا/ محتوى الكتاب.

الفصل الأول: جاء تحت عنوان البدو وأصلهم.

تطرق حمدان خوجة في هذا الفصل الى بدو الجزائر الذين صنفهم الى نوعين هما سكان السهول وهم العرب، وسكان الجبال وهم البربر.

الفصل الثاني:طبائع البربر وعاداتهم.

تطرق في هذا الفصل الى عادات البربر وقدم لنا تفاصيل دقيقة حول أسلوب حياتهم بداية من ملابسهم بالنسبة للنساء والرجال (القندورة_ الحايك) ثم عرج بالحديث عن مأكولاتهم (خبز، شعير، زيت الزيتون).

الفصل الثالث:طبائع وعادات البربر (تابع)

واصل فيه الحديث عن طبائع وعادات البربر حيث وصف لنا نمط بناء المنازل في القرى الصغيرة، كما وضح لنا طريقة العيش داخل هذه البيوت التي كانت تظم العائلات والحيوانات معا مما يجعل الظروف غير صحية، كما أعطى لنا لمحة عن المساجد في هذه القرى البربرية وأشار لنا أن بعض القرى كانت تعمل على تصنيع الأسلحة التقليدية ووصفهم بأنهم مهرة في استخراج خامات الحديد والرصاص والملح ، وخاصة صنع البرانس والأغطية، كما أنهم كانوا يجيدون تقليد جميع أنواع النقود، وفي الأخير أشار لنا أن كتاب المرآة "**ليس تاريخا مفصلا وإنما عرضا ضروريا لتكوين فكرة عن هذه المناطق وعن سكانها**"[1]، لينهي هذا الفصل بالإشكالية التالية حول الهدف الحقيقي من الحملة الفرنسية على الجزائر، هل كانت من أجل الأرض أو مجرد تدمير الناس؟

الفصل الرابع:سكان السهول: طبائعهم وعداتهم

صنف في البداية سكان السهول الى قسمين وهما أهل الصحراء وأهل التل وأشار أنهم يشتركون في الأصل واللغة وحتى في طريقة العيش، حيث أعطى لنا لمحة عن ملبسهم ومأكلهم وقدم لنا وصفا قيما يتعلق بخيامهم، ثم عرج بالحديث عن نظام الخماسة الذي كان يطبقه المالك على العامل، وشروط هذا النظام ثم تطرق بعدها إلى مهام وأدوار النساء وطريقة احتفاظ هؤلاء السكان بالحبوب لمدة تزيد أكثر من 15 سنة، معترفا في الوقت ذاته بقوة ومهارة فرسان هذه المناطق.

ثم انتقل الى الحديث عن سكان الصحراء مقرا أنه لم يقم بزيارة شخصية لهذه المنطقة بل اعتمد على روايات موثوقة، حيث بدأ الحديث عن ملكيات عن هؤلاء السكان من الحيوانات وقدم لنا لمحة بسيطة عن أسلوب

[1]حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، المرجع السابق، ص30.

حياتهم من مأكلهم وملبسهم ووصفهم بأنهم أكثر نشاطا وشجاعة من سكان التل بقوله" **أن الرجل منهم يساوي عشرة من الأخرين**"[1] .

الفصل الخامس:المتيجة: طبائع سكانها وعاداتهم.

اعترف في هذا الفصل بأن سهل متيجة مجرد سهل لا تساوي تربته تربة غيره من سهول الإيالة، بصفته أحد الملاك في هذا السهل بعد لك شرع في سكان متيجة وعن قمح هذه المنطقة واصفا إياه بأنه أقل جودة من غيره، وهذا يرجع إلى جو المنطقة ومناخها، كما تحدث أيضا عن حادثة اعتقال مرابط القليعة الذي كان له تأثير مباشر على الفلاحة في هذه المنطقة، وفي الأخير أعطى لنا لمحة بسيطة عن طريقتهم في الحياة وألبستهم ثم تطرق إلى سكان البليدة الذين وصفهم بأنهم يشبهون سكان متيجة ولكنهم أكثر منهم حضارة.

الفصل السادس: عن سكان الجهة الغربية.

تحدث في البداية عن مدينة تلمسان وعن سكانها الذين وصفهم بالشجعان، كما أشار أيضا الى الصناعات والحرف التي كانت متواجدة في هذه المدينة وعن المناخ السائد فيها، وعبر عن اعجابه بهذه المدينة بقوله " أنها أحسن من مدينة الجزائر لو تزود بحكومة عادلة"[2]، ثم بعد ذلك تحدث عن مدن الجهة الغربية الأخرى (المدية، وهران، معسكر، مليانة) بإعطاء لمحة موجزة عن هذه المناطق من حيث حدودها وعادات سكانها ومناخها وأهم الصناعات والحرف المتواجدة فيها.

الفصل السابع: الجزائر

تطرق حمدان بن عثمان خوجة في هذا الفصل الى وصف سكان الجزائر التي قال عنها أنها طبقات مختلفة من الناس (العرب، الاتراك، الكرا غلة، الاندلسيين...) حيث قدم لنا وصفا يتعلق بعاداتهم وتقاليدهم وملابسهم وهندستهم المعمارية وحتى تكوينهم الجسدي.

الفصل الثامن: حكومة الأتراك: تنظيمها وأصلها

تحدث في هذا الفصل عن مجيء الاخوة بربروس إلى الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط وعن أعمالهم البطولية في إنقاذ المسلمين الأندلسيين الذي سيلعبون دورا هاما في تنظيم الحكومة ، ثم عرج بالحديث عن استنجاد أهلي الجزائر بهؤلاء الابطال والذين بفضلهم ستدخل الجزائر في مرحلة جديدة من القوة والهيمنة والتقدم، كما أشار إلى نقطة مهمة وهي علاقة الحكام بالمرابطين حيث وصفها بأنها كانت علاقة قوية متينة وعلاقة احترام

[1] حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، مرجع السابق، ص 38.

[2] المرجع نفسه، ص57.

وهيبة من قبل الحكام الذين سيستغلون هذه النقطة لاكتساب ود العرب والبربر خاصة بعد إدراكهم دورهم في المجتمع ويمكن تلخيص هذه العلاقة في النقاط التالية:

أ_ احترام وتقدير المرابطين: بعد أن أدركوا دورهم ومكانتهم في المجتمع أصبحوا يهابونهم ويخشونهم لذلك قربوهم إليهم ومنحهم عدة امتيازات.

ب_ الدين كأداة تأثير: حيث أظهروا أنفسهم كحماة للدين وامتثلوا ظاهريا له.

الانضباط في الصلاة والطاعة

هذا ما جعل السكان يطيعونهم ويثقون بهم وينفذون أوامرهم دون مقاومة

ج_العدالة: وبهذا التصرف استهدفوا قلوب الأهالي

الفصل التاسع: حول كيفية تجهيز سفن القرصنة في الجزائر وتوزيع الغنائم وحول التنظيم العسكري والديوان

تطرق حمدان خوجة في هذا الفصل الى الجهاد البحري للجزائريين في سواحل البحر الأبيض المتوسط وإلى كيفية توزيع الغنائم عند وصولها إلى مدينة الجزائر.

كما أشار أيضا إلى الأجور التي كان يتلقاها الجنود المتزوجون وغير المتزوجين وإلى التنظيمات العسكرية في الثكنات، مع ذكر الرتب العسكرية التي كانت تتولى هذه المهام (بلوك باشي، أوضا باشي، باش يولداش..) ثم عرج بالحديث عن الديوان ومهامه وشروط الانخراط فيه، كما قدم لمحة بسيطة عن اختصاصات رئيس الديوان الذي كان يطلق عليه أغا العسكر.

الفصل العاشر: حول الداي وحكومته ومختلف العادات.

تطرق في البداية إلى مهام وأدوار واختصاصات الداي العسكرية والمدنية ثم عرج بالحديث عن التنظيمات التي كانت معتمدة في الصناعة والمتمثلة أن لكل حرفة أمين وبعدها يأتي رئيس هؤلاء الأمناء وهو شيخ البلدة، وفي قمة الهرم يأتي نقيب الأشراف الذي يشرف بدوره على الكل، حيث أعطى لنا لمحة موجزة عن مهام هؤلاء حيث قال عنهم حمدان "**هؤلاء هم الذين ينظمون شؤون الدولة**"[1] ، وكل هذا يدل على التنظيم المحكم الذي كان سائدا في تلك الفترة ومن ثمة يتطرق إلى ذكر بعض المناصب الأخرى (الأغا ، خوجة الخيل، المقطاعجي، بلوك باشي، باش يولداش، أوظا باش باشيولداش)، مع إعطاء أدوار ومكانة كل منهم كما أشار إلى نقطة مهمة وهي أن والده كان يشتغل مقطا عجي أو كاتبا أول، هذا ما ساعده على معرفة كل هذه التفاصيل الدقيقة حول نظام الحكم التركي.

[1]حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، المرجع السابق، ص38.

الفصل الحادي عشر: تحديد رسوم الأرض وطريقة جمع الضرائب.

أشار حمدان في هذا الفصل الى طرق فرض الضرائب حيث قال إن هذه الطرق تختلف حسب طبيعة ملكية الأرض، كما أشار أيضا الى أنواع الضرائب وطريقة جباياتها حيث كان يتم فرض الضرائب بناء على انتاج الأرض ويؤخذ العشر أو الخمس من المحاصيل فقد كانت توضع مقاييس لتحديد قيمة الضرائب وقفا لأصناف المحاصيل والقدرة الإنتاجية، كما تعجب حمدان من سياسة الدوق "دوروفيكو"، الذي فرض على سكان متيجة أن يدفعوا العشر وهم أفقر الناس، وبشكل عام يظهر لنا حمدان في الفصل كيف استخدمت الضرائب كأداة سياسية واقتصادية لتحكم بالسكان

الفصل الثاني عشر: عن انحطاط حكومة الاتراك وسقوطها.

تطرق في هذا الفصل إلى بعض الأسباب لسقوط حكومة الاتراك والتي من أهمها تغيير نظام تجنيد الجنود حيث فتحت الأبواب لأي شخص يريد الانضمام الى الميليشيا، بعد أن كان الانخراط للرجال النزهاء فقط، هذا ما انعكس سلبا على أهالي الجزائر وعلى البلاد ككل، ثم عرج بالحديث عن الاغتيالات التي شهدتها الايالة بداية من عهد الداي مصطفى باشا إلى غاية أخر دايات الجزائر قبل الغزو الفرنسي وهو الداي حسين، ثم بعد ذلك تطرق إلى تمرد الكرا غلة 1630 ضد الاتراك أباءهم وأجدادهم وقد قدم لنا تفاصيل حول هذا الحادث الذي سيكون سببا في فصلهم من المناصب الحساسة، إضافة الى استحواذ اليهود على التجارة وتقريب الحكام الاتراك لهم، وقدم لنا تفاصيل حول هذا التقارب وما نتج عنه من أموال طائلة استفاد بها اليهود حيث قال: "**وعلى هذا الأساس فإن عددا قليلا من السنوات كان كافيا للقضاء على جميع ثروات بلدنا الجليل**"[1]، كما لعبت المجاعة الكبرى التي أصابت الجزائر 1800 دوا في انحطاط الحكومة وسقوطها، وفي الأخير نستطيع القول أن حمدان خوجة لخص لنا في هذا الفصل العوامل والأسباب التي كانت سببا في سقوط الأتراك.

الفصل الثالث عشر: عن داخل الايالة وبعض الملاحظات حول حسين باشا آخر دايات الجزائر.

ركز حمدان خوجة في هذا الفصل على وصف الأوضاع الداخلية كما أشار إلى توتر العلاقات مع ايالة تونس وقد قد لنا صورة إيجابية عن حسين باشا آخر دايات الجزائر، فمدحه بأخلاقه ووفائه مشيرا إلى أنه خدم الإيالة لأكثر من ثلاثين سنة بإخلاص وأنه كان كريما ونزيها رافضا لسفك الدماء، كما أكد على احترامه للمعاهدات حتى أن الأوروبيين شهدوا له بذلك، ويرى أن سقوط حكمه لم يكن بسبب فساده بل نتيجة أخطاء الولاة

[1] حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، المرجع السابق، ص122.

والميليشيا المحيطة به، ورغم محاولاته لإعادة النظام إلا أن الوقت كان متأخرا بسبب الفوضى التي كانت تعاني منها الحكومة ومع ذلك يلومه على أمرين:

عدم استرجاع الديوان القديم والاستفادة من تجربة القدماء وأيضا أنه لم يستعمل جميع الوسائل الممكنة لمنع الحرب بين فرنسا والجزائر.

أما الكتاب الثاني فضم اثني عشر فصلا تتعلق في مجملها بالصراع بين الجزائر وفرنسا بالحديث عن أسباب الحرب وتفاصيل النزول بسيدي فرج، والأعمال الوحشية التي ارتكبها الاستعمار عشية الاحتلال كما أشار إلى البايات بعد الاحتلال لاسيما عن**باي التيطري ومصطفى بومرزاق** وغزو **كلوزيل** البليدة والمدية وتفاصيل هذا الغزو، وجاءت عناوين الفصول بالترتيب على النحوالأتي:

الحرب وأسبابها_ قصة وصول الجيش إلى سيدي فرج_ عن تفاصيل دخول **الماريشال بورمون**، عن الاحتلال العسكري_ عن البايات منذ أن وقع الغزو الفرنسي، عن إرادة الماريشال بورمون_ عن أحداث الترسانة والاحتلال العسكري _عن الاحتلال العسكري وسلوك أهم ضباط الجيش الفرنسي _ عن مصطفى بومرزاق وباي التيطري _ تابع لإدارة الجنرال كلوزيل وحملاته ضد البليدة والمدية، نسخة المعاهدات _ عن الأوقاف، والتغيرات التي تعرضت لها تلك المؤسسات والمحاكم التي تنظر في شؤونها أثناء ولاية الجنرال كلوزيل. تفسيرات حول ممتلكات الأوروبيين في الجزائر.

جهود م.العربي الزبيري في ترجمة كتاب المرآة:

بعد الاطلاع على الترجمة التي أنجزها العربي الزبيري حول كتاب "المرآة" يتبين أن هذه الترجمة لم تكن مجرد نقل لغوي بل كانت نقلا وتعليقا وتصحيح من طرف مترجمنا الزبيري، ويمكن الوقوف على مجموعة من الإيجابيات التي ميزت هذا العمل في النقاط التالية:

_أمانة الترجمة واحترام المعنى الأصلي: حيث حافظ الزبيري على مضمون الكتاب دون أن يحرف فكر الكاتب أو يغير في المعنى العام، فقد نقل أفكار حمدان بن عثمان خوجة بدقة حتى أن القارئ _وأنا شخصيا _ يشعر أحيانا بأن النص مكتوب في الأصل باللغة العربية وليس مترجما عن اللغة الفرنسية وهذا ما يظهر تمكن الزبيري في اللغة العربية والفرنسية وحرصه على إيصال الفكرة كما هي دون زيادة أو نقصان.

_تبسيط اللغة: النسخة الأصلية للمؤلف حمدان بن عثمان خوجة نشرت بباريس باللغة الفرنسية سنة 1833، وهي فترة ليست بقصيرة إلا أنه مع ذلك استطاع الزبيري أن يترجم هذا النص حتى أنه يمكن أن اللغة

التي كتب حمدان بن عثمان خوجة كانت ثقيلة ومعقدة نوعا ما، إلا أن الزبيري ترجم هذا النص بأسلوب عربي وبسيط سهل الفهم فهو لم يكتفي بالترجمة فقط بل بذل جهدا في تبسيط الأفكار مع الحفاظ التام على معناها.

التعليق والتوضيح في الهامش: من النقاط الإيجابية في ترجمة العربي الزبيري أنه لم يكتفي بالنقل فقط بل كان يعلق ويوضح بعض الأمور التي يمكن أن تكون غامضة في فهم القارئ، فنجد أنه عندما يذكر المؤرخ شخصية تاريخية أو مصطلحا صعبا، يقوم الزبيري بتعريفه أو شرحه في هامش الصفحة، حتى أنه إذا شعر أن فكرة ما غير واضحة أو فيها غموض يكتب في الهامش ويحاول شرحها بشكل موجز، تجعل القارئ يفهم ما كان يقصده المؤلف، والأهم من ذلك أنه في بعض المواضع نبه إلى أخطاء وقع فيها حمدان خوجة نفسه وصححها في الهامش وفيما يلي نماذج من هذه الأخطاء التي تنبه لها الزبيري وقام بتصحيحها.

ص69: ذكر حمدان بن عثمان خوجة أن الدولة العثمانية أرسلت خير الدين باشا سنة 1530، بأسطول صغير لإنقاذ المسلمين الأندلسيين، إلا أن مترجمنا الزبيري صحح هذا الخطأ في الهامش موضحا أن عروج وخير الدين وأخويهما لم يرسلوا من الباب العالي بل كانوا يعملون لحسابهم الخاص، بدافع اسلامهم القوي وغيرتهم على الإسلام والمسلمين، كما أشار إلى أن دخولهم إلى شرقي البحر الأبيض المتوسط كان مع مستهل القرن السادس عشر، مؤكدا أنه لو كان الباب العالي هو من أرسلهم لزودهم بأسطول قوي ولتابع تحركاتهم وهو ما لم يحدث في الواقع.

ص95: قال حمدان بن عثمان خوجة "بعد وفاة محمد باشا خلفة مصطفى باشا" إلا أن الزبيري قد علق في الهامش وصحح هذه المعلومة بقوله: "غير صحيح لأن الذي تولى بعد محمد باشا هو بابا حسن خال مصطفى باشا، وقد حكم من سنة 1792 إلى سنة 1798، وعندما توفي نتيجة دمل في رجله خلفه مصطفى"

وغيرها من الأخطاء التي وردت في كتاب حمدان خوجة وقام بتصحيحها الزبيري حرصا منه على الأمانة العلمية كالصفحة 81_82...وغيرها.

وهذا ما يثبت أن الزبيري ليس ناقلا فقط بل مترجم وناقل ومحقق ومصحح في آن واحد، وبناء علي هذا يمكننا تلخيص جهود العربي الزبيري في النقاط التالية:

المحافظة على النص الأصلي، الشرح والتوضيح، تصحيح الأخطاء، الإضافة في الهامش لا في المتن.

أهمية الترجمة:

تكتسي ترجمة محمد العربي الزبيري لكتاب المرآة أهمية كبيرة تكمن في كونها شهادة تاريخية مهمة من الفرنسية إلى العربية مما سمح للقارئ الجزائري والعربي بالاطلاع على أول دفاع مكتوب ضد الاستعمار الفرنسي بلسان جزائري حر، والفضل كله يعود إلى الدكتور محمد العربي الزبيري _رحمه الله_ وأسكنه فسيح جناته.

المطلب الثاني: كتاب الرايس حميدو.

أولا/ دراسة شكلية للكتاب.

الاسم الكامل للمؤلف: البير دوفال

عنوان الكتاب:الرايس حميدو

تعريب: محمد العربي الزبيري

الطبعة: 2

عدد الصفحات:103

دار ومكان النشر:دار الحكمة _الجزائر_ 2015

ثانيا/ الوصف الخارجي للكتاب: هو غلاف ذو غلاف بني اللون كتب عنوانه "الرايس حميدو" بخط كوفي في أعلى الغلاف وضع اسم الدكتور محمد العربي الزبيري، وفي أسفله نجد اسم دار النشر "دار الحكمة" مرفقا بشعارها كما يظهر في الغلاف صورة لضل رجل يقصد به القائد البحري الجزائري الشهير الرايس حميدو.

ثالثا/ التعريف بالكاتب: ألبير دوفال

هو مستشرق فرنسي ولد سنة 1826 وتوفي سنة 1876، والده ألفونس دوفال الذي كان له فضل كبير في اهتماماته واختصاصاته فيما بعد، [1] ففي 13 أكتوبر 1848 اعلن مرسوم الجنرال شارون القاضي بالاهتمام بمخلفات الدولة من وثائق ودفاتر ورسوم وعهدتها الى الوكيل ونتيجة لهذا المرسوم تعين البير دوفال لهذه المهمة [2]،

[1]حنيفي هلايلي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الهدى، لنشر والطباعة والتوزيع، الطبعة الأولى، 2008، الجزائر، ص 105.

[2]حنيفي هلايلي، ثنائية توظيف المصادر المحلية والأوروبية في كتابة تاريخ الجزائر أثناء العهد العثماني من خلال تجربتي دوفولكس وديغرامون، الحوار المتوسطي، العدد 1، جامعة سيدي بلعباس، ص 9.

ويبدوا أن دوفال كانت لديه معرفة واسعة بمدينة الجزائر منذ صغره من خلال مرافقته لوالده،[1] تعلم البير دوفال اللغة العربية بمعهد باب غزون، وكان يساعده جزائريان بالترجمة له كل الوثائق التركية كما ساعداه على ترجمات عربية وهما محمد بن مصطفى [2] الذي ترجم له الوثائق المكتوبة باللغة التركية الى العربية وقام البير بنقلها الى اللغة الفرنسية،[3] أما الشخص الثاني فهو محمد بن عثمان خوجة ولم يفتأ دوفال يذكرهما بجزيل العمل الذي اسدياه له لسير أبحاثه التاريخية[4]، وشغل دوفال منصب محافظ الارشف العربي بمصلحة الدومين لمدة 25 سنة مما جعله يخوض في وثائق الجزائر التي فتحت شهيته للكتابة نظرا لكثرة الوثائق التي خلفها الحكم العثماني [5]، فقد تمكن من جمع الآلاف من الوثائق ويذكر ذلك على لسانه "**أنه مرت على يديه حوالي مائة ألف وثيقة**"، ومجموع دراساته التي نشرها بالمجلة الافريقية تشهد على أنه اطلع على أشياء كثيرة[6].

فقد وضع البير دوفال فهرسا للوثائق العثمانية عام 1850 يتعلق بـ 508 ملفا مصنفة الى مجموعتين الأولى تعرف بسجلات البايلك والثانية يطلق عليها دفاتر بيت المال.

ومن الاعمال الايجابية لنشاط دوفال فيما يتعلق بتنظيم الوثائق العثمانية في الجزائر أنه لم يقتصر على وضع الفهرس العام للوثائق الذي ظل مخطوطا بل تجاوز ذلك الى العمل على نشر العديد من ملفات الوثائق بعد ادخال تغيرات في ترتيب مادتها واحداث تحويلات في طريقة عرضها، مستعينا بذلك بالشخصيتين الجزائريتين سابقتي الذكر، وبذلك تمكن دوفال من نشر الكثير من الوثائق في شكل كتب مستقلة أو دراسات بالمجلة الافريقية أهمها سجل الغنائم البحرية ، مذكرات تاريخية حول المساجد والمنشآت الدينية ومصنف بالعلامات

---

[1]رزيقة حطابي، مليكة بوفراح، سجل الغنائم البحرية الجزائرية (1178_1245هـ/ 1765_ 1830م)، البير دوفال من خلال المجلة الافريقية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر، جامعة الدكتور يحي فارس، لمدية، السنة الجامعية 2016_2015 ، ص 16.

[2]متاجر صورية ، حنيفي هلايلي، انتاج المعرفة التاريخية في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية في مدونات المجلة الافريقية نموذج بير برو جر، دوفال، دي غرامون، رين، المجلد 11، العدد 1 ، مارس ، 2020|، ص 106.

[3]أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، 1998، الجزء السادس، 1830_ 1954، ص170.

[4]حنيفي هلايلي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العماني، المرجع السابق، ص 106.

[5]زلاط حفيظة ، طرشون نادية، دور الكتابات الفرنسية في إعادة كتابة تاريخ الجزائر في العصر الحديث "كتاب التشريفات أنموذجا" ، مجلة تاريخ العلوم / مجلد 5، عدد 13، 2020، ص 180.

[6]حنيفي هلايلي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق، ص 106.

المميزة للأسطول الجزائري، عرض طبوغرافية مدينة الجزائر، بإضافة الى عرض عن أرشيف القنصلية الفرنسية بالجزائر في العهد العثماني ومختصر لحياة الرايس حميدو وهو موضوع دراستنا اليوم[1].

رابعا/ ملخص عام حول الكتاب

يتناول الكاتب بصفة عامة في هذا الكتاب شخصية الرايس حميدو وانجازاته العسكرية معبرا عن سبب اختياره لهذا الموضوع بقوله "**أن الريس حميدو فرض شهرته بأعماله المتعددة وانتصاره على السفن الحربية**"[2]معتمدا على اثبات جدارة وقوة وجرأة هذه الشخصية الفاعلة خلال الفترة العثمانية على سجل تم افتتاحه سنة 1765لتسجيل الغنائم واقتسامها بين القراصنة (البحارة) الجزائريين الذي اطلق عليه "دفتر الغنائم البحرية" كما أقر أيضا أنه اعتمد على الشهادات المنقولة حيث قدم لنا صورة وأوصافا للبطل الرايس حميدو بأنه متوسط القامة وأبيض البشرة وأشقر الشعر ...وأن أصله لم يكن لا تركي ولا غربي بل كان من أبناء مدينة الجزائر وكان والده يدعى علي .

كما أشار أيضا إلى الفرق بين المسحيين واليهود الذين يعتنقون الإسلام مبينا أن المسيحيين كانوا يعاملون أحسن من اليهود ذلك أن المسيحيين كانوا ينتمون إلى المذهب الحنفي الذي كان عليه الاتراك على عكس اليهود الذين كانوا ينتمون إلى المذهب المالكي وعلى هذا الأساس كانوا يعاملون مثل العرب (الأهالي) وقدم تفاصيلا أخرى حول هاتين الفئتين من حيث المعاملة والوظائف.

ثم أشار بعد ذلك إلى أن البطل الرايس حميدو كان يتعلم الخياطة وهو في سن العاشرة أو الحادية عشر من عمره وكان يتغيب عن الورشة ليستمع إلى قصص البحارة ومغامراتهم في البحر ومن هنا كبرت طموحاته وازداد حقده على الكفار ومن هنا تبدأ مغامرته في البحار وكان باي وهران هو أول من تشرف بتقييم كفاءته فأسند له أحد قواربه للإشراف عليها وقد نجح حميدو في الاشراف على هذه المهمة فاسند له مهمة أخرى أكبر منها ومن هنا ذاع صيت البطل الرايس حميدو.

ويصف الكاتب دوفال حميدو بالبطل والشجاع وأنه أهل للقيادة وبعد أن اشتهر وذاع صيته دعاه الداي لمدينة الجزائر سنة 1790_1791عما قدم لنا تفاصيلا حول الحادثة التي وقعت له في مرسى القالة والخسائر التي كلفته أن يخسر السفن التي كان يقودها ولكن بفضل خبرته وحيلته استطاع أن يصرف بها غصب الباشا وهنا

[1]ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العماني، دار البصائر، الجزائر، الطبعة الثانية، 2009، ص ص 62.63.64.

[2]ألبير دوفال، الرايس حميدو، المرجع السابق، ص11.

ظهر الرايس حميدو في سجل الغنائم سنة 1997 ومن هنا يبدأ دوفال بذكر الإنجازات التي قام بها الرايس حميدو مع ذكرهبتفصيل أسماء السفن الأوروبية (جنوة, البندقية، نابولي) والغنائم المختلفة والعديدة والثمينة التي تحتويها وعدد الاسرى.

ثم بعد ذلك يتطرق إلى ذكر الحملة الفرنسية على مصر مشيرا إلى وثائق لم يسبق نشرها خاصة منها رسالة وجهها القبطان باشا إلى داي الجزائر سنة 1798، وقد ذكر بالتفصيل كلما جاء في هذه الرسالة مشيرا إلى عدم امتثال داي الجزائر لأوامر الباب العالي القاضية بمهاجمة فرنسا والاعتداء على سفنها وإلقاء القبض على قنصلها المقيم بالجزائر وكل أبنائها في السجن وغيرها من الأوامر السلطانية، هذا ما أثار غضب الباب العالي الذي وجه برقية مطولة إلى مصطفى باشا وقد ورد أورد الفقرات التي جاءت في هذه الرسالة ، وبعدها يقوم بسرد الأحداث التي وقعت بين فرنسا وداي الجزائر، حيث طالب هذا الأخير فرنسا بدفع اتاوة الى الجزائر ويذكر بالتفصيل ردة فعل كل من فرنسا والجزائر لتعقد معاهدة سلم 17 ديسمبر 1801، متكونة من 19 مادة تعيد العلاقات الودية بين الدولتين .

بعدها يذكر توتر العلاقات بين كل من الباب العالي والجزائر بسبب استيلاء هذه الأخيرة على سفن اليونان التي كانت مقاطعة تابعة للباب العالي وكانت هذه الحادثة سببا في غضب الباب العالي سيهدد داي الجزائر ورياسها بمعاملتهم معاملة الأعداء وغيرها من التهديدات غير أن العلاقة ستعود إلى مسارها عهد الداي عمر باشا.

ثم يواصل الكاتب نقله عن دفتر الغنائم بذكر الغنائم التي جلبها الرايس حميدو ومن هنا يعاتب الكاتب الفرنسيين والدول الأخرى التي كانت تستسلم للرايس حميدو بدون مقاومة بقوله: " لكن كفى من هذه الانتصارات العادية والنجاحات وسحقا لتلك السفن التجارية المسالمة التي تقف طائعة عند الطلقة الأولى وتنقاد خاضعة بلا حراك ولا كلام"[1].

ومن ثمة يتطرق الكاب الى الخطة الي استعملها الرايس حميدو في الاستلاء على سفينة برتغالية ووصفه بالبارع حينما استعمل حيلة للبرتغاليين برفع العلم الإنجليزي لكي لا يتعرض للهجوم من البرتغاليين وبفضل هذه الخطة الجريئة استطاع الدخول الى الموانئ البرتغالية بكل حرية وهنا تمكن الرايس حميدو من احراز انتصارات جبارة واستطاع القضاء على عدة سفن أوروبية وقدم الكاتب تفاصيل دقيقة لهذه الإنجازات وأسماء الأسرى وكيف

[1] البير دوفال، الرايس حميدو، مرجع السابق، ص 60.

استطاع أن يلحق بهذه السفن هزيمة نكراء متطرقا أيضا الى الحادثة التي وقعت بين كل من تونس والجزائر وكيف استطاع الرايس حميدو الانتصار على السفن التونسية انتصارا باهرا[1].

وفي الأخير تطرق الكاتب الى الحديث عن العلاقات التي كانت بين كل من الولايات المتحدة الأمريكية وإيالة الجزائر، مشيرا الى المعاهدات التي عقدت بين البلدين والى الحملة المشؤومة التي انتهت باستشهاد هذا البطل وكان ذلك في عهد الداي عمر، يصف الكاتب موت الرايس حميدو قائلا كانت النهاية شريفة يستحقها من كان بمثل شجاعته، وقد لفظ أنفاسه الأخيرة وهو في كرسي القيادة هادئ ومقاوما تحت نيران أحد الأساطيل الأميركية التي باغتته فطوقته فكانت مقاومة حميدو مشرفة على الرغم من عدم تكافؤ القوات والتفوق الأمريكي الذي لم يترك له أي أمل في الحياة ويصف نهاية الرايس حميدو بقوله: "**كانت تلك هي نهاية حميدو البطولية وهي نهاية مجيدة**"[2].

وبحكم أن الكتاب لم يكن مقسما إلى أبواب وفصول فإنني تعمدت ذكر الأفكار الرئيسية التي جاءت بالتدرج كما أوردها المؤلف لكي أقدم لمحة عامة عن الكتاب وألخصها من بدايته الى نهايته.

خامسا/ جهود العربي الزبيري في الترجمة وتصحيح المغالطات التاريخية

حين نتأمل في بعض الكتابات الغربية التي تناولت تاريخ الجزائر نجد أنها لا تخلوا في كثير من الأحيان من نزعة استعمارية تحاول أن تشوه صورة هذا البلد، وتقلل من شأن حضارته ومكانته وثقافته، ومن بين هذه الكتابات وجدنا كتاب **الرايس حميدو** بقلم **ألبير دوفال** الذي صاغ رؤيته للدولة الجزائرية من منطلق يخدم الرؤية الاستعمارية الفرنسية، ليس هذا فقط بل نجد أن معظم الكتابات الفرنسية تركز دائما على فكرة مفادها أن الفترة العثمانية ليس فيها ما يكسب الجزائر شخصية وطنية وكيانا ونظاما اقتصاديا، في محاولة لتبرير فعل الاستعمار الفرنسي،[3] ولكن ما يلفت الانتباه في هذا السياق هو الجهد الذي بذله المؤرخ محمد العربي الزبيري في ترجمة هذا العمل، حيث لم يكتفي بنقله إلى اللغة العربية فقط بل تعامل معه بعين الناقد ووقف عند العديد من هذه المغالطات، في هوامش عديدة ودقيقة، وتعليقات علمية منبها القارئ إلى ما فيه من تشويه للواقع وتزيف للحقائق، فلقد كانت ترجمته بمثابة تفكيك داخلي للنص الأصلي كشف فيه الأهداف المبطنة، ورد الاعتبار

[1] ألبير دوفال، الرايس حميدو، المرجع السابق ص ص 80_90.

[2] ألبير دوفال، المرجع نفسه، ص 103.

[3] حسن بربورة، إشكالية نظام الحكم العثماني في الجزائر 1518_1830، بين نظرة المدرستين التاريخيتين الفرنسية والجزائرية، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، جامعة يحى فارس، المدية، ص12.

للتاريخ الجزائري بمواقف واضحة وموثقة، ومن هنا يصبح هذا العمل فرصة مزدوجة لنقد الفكر الاستعماري الذي يحمله البير دوفال وفي الوقت نفسه لتقدير القيمة العلمية والوطنية لترجمة العربي الزبيري.

وسنحاول هنا ابراز بعض النقاط التي جانب فيها الكاتب الصواب مع التوقف عند ردود وتعليقات الدكتور محمد العربي الزبيري، التي جاءت لتصحح تلك المغالطات:

الصفحة 7 من كتاب الرايس حميدو بقلم البير دوفال

في مقدمة الكتاب يصف البير دوفال الجزائريين "**بالبرابرة**" و"**القراصنة**" في قوله "**كان الجزء الشمالي من افريقيا المقابل لإسبانيا وفرنسا وإيطاليا مدة قرون عدة موطنا للقراصنة...كما أن البرابرة كانوا قد عرفوا كيف يصبحون أشداء وتخشاهم السفن العديدة**"[1]، إلا أن مترجمنا لم يمر مرور الكرام على هذا الزعم بل توقف عنده بالنقد موضحا حقيقته للقارئ منبها إلى هذا الخطأ في هامش الترجمة لقوله: " **هي الصفة التي يطلقها الأوروبيون وبعض مثقفي العرب على بحارة شمال إفريقيا ومعناها الحقيقي لصوص البحر**"[2] ، كما علق على مصطلح بربريا بقوله: "**هذه الصفة كانت تطلق على شمال أفريقيا ومعناها موطن التوحش والهمجية...والحقيقة أن هذه العبارة لم تكن مصطلحا تاريخيا في يوم من الأيام وإنما هي نعت استعملته روما لوصف الشعوب التي لم تكن متحضرة في نظرها من بين تلك الشعوب أبناء الأمازيغ**"[3]، وقد أعرب الزبيري عن أسفه لكون بعض المثقفين حتى في بلادنا يرددون هذه المصطلحات دون وعي فيصفون أنفسهم بالوحشية والهمجية رغم أن التاريخ لم يعرف أصلا شيء اسمه الجنس البربري[4].

فالصورة التي يقدمها لنا المؤرخون الغربيون على المدن العثمانية في شمال أفريقيا هي عموما مدن قراصنة وعرين وقطاع طرق ولصوص بحر _يسيرها الأجانب وادارتها غير منظمة والقمع هو الأداة الوحيدة لتسيير الحضاري،[5]_.

رغم أن مصطلح القرصنة ارتبط في كثير من الأحيان بالوجود التركي إلا أن الأتراك لم يكونوا هم من أنشأها ومارسها في منطقة المغرب بل كانت هذه الظاهرة موجودة قبل وصولهم وكانت تمارس من قبل المسلمين والمسحيين، على حد سواء منذ قرون طويلة، أي قبل القرن الخامس عشر[6]، فقد ذهبت أغلب الدراسات التاريخية

---

[1] البير دوفال، الرايس حميدو، تعريب محمد العربي الزبيري، دار الحكمة للنشر، الجزائر، 2015، الطبعة 2، ص7.

[2] نفسه، ص7.

[3] نفسه، ص7

[4] نفسه، ص7

[5] العربي ايشبودان، مدينة الجزائر تاريخ عاصمة، ترجمة جناح مسعود، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007، ص34.

[6] صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي، (1514_1830)، دار هومة، الجزائر، 2012، ص20.

على أن خير الدين ومجموعته كانوا مجرد قراصنة وقطاع طرق، يغيرون على السفن الأوروبية، وينهبونها ويسلبونها، حيث نجد خير الدين نفسه يفند هذه الصورة المشوهة، في مذكراته[1] عندما دعاه أخاه عروج أمير تلمسان الخائن الذي تعاون مع الاسبان قائلا له : "**مالك أيها السافل إن ما فعلته لم يجرأ أحد على فعله ولن أعير اهتماما بما تشيعه عني من أني قرصان لا هم لي إلا قطع الطريق في عرض البحر، أيها الملعون يا من جعلت نفسك عبدا لسيدك ملك اسبانيا، ألم تعلم أن ملكك هذا قد أعمل السيف في رقاب مئات الآلاف من مسلمي الأندلس؟...نحن لسنا قراصنة بل مجاهدون نقاتل في سبيل الله ولله الحمد**"[2] ، ومن هنا أمر بضرب عنقه بالسيف.

وهذا الرد يثبت ويؤكد بكل موضوعية الدوافع التي جاء من أجلها الإخوة بربروس والهدف من وراء هذا الجهاد البحري الذي سماه الأوروبيين "بالقرصنة ولصوص البحر" ضاربين صفحا عن قرصنة أوروبا في العصر نفسه فالبحارة الجزائريين كانوا يعملون وفق نظام منظم، فكانوا يستهدفون السفن المعادية لهم فقط والتي لا ترتبط مع الجزائر بمعاهدات فالقرصنة الجزائرية كانت خلال الحكم العثماني كرد فعل على القرصنة الإنسانية التي كانت في الحقيقة قرصنة لا مبرر لها[3]، فالجزائر كانت مدفوعة للقيام بهذا العمل لعدة عوامل أنها كانت ردا على التصرفات العدوانية التي كان يمارسها التجار الأوروبيين بهدف اقصاء الجزائريين من النشاط البحري، بالإضافة إلى أن بعض الجهات مثل مالطا التي كانت تستهدف كل السفن الإسلامية بدون تمييز[4].

وقد لعب المورسكيون دورا هاما في تنشيط حركة الجهاد البحري بسبب طردهم واحتقارهم وتعذيبهم ونهب أملاكهم من طرف الاسبانيين النصارى وقد وجدوا تسهيلات من أبناء عمومتهم الذي بقوا في اسبانيا[5]، كما يقول جون وولف أن الجهاد البحري في شمال افريقيا كان ناتجا عن تعصب ديني متجذر لدى الشعوب البربرية والعربية لكنه يشير أيضا الى أن هذا التعصب قد تفاقم بسبب ظلم الاسبان في تعاملهم مع المسلمين الذين في اسبانيا وخاصة ما تعرضوا له من سلب ونهب حيث سجنوا واجبروا على التنصر بقوة وأحرقوا بسبب تمسكهم

[1] أبعاد وخلفيات الدخول العثماني إلى الجزائر في بداية القرن السادس عشر ميلادي على ضوء الوثائق والمصادر العثمانية، دراسة ارشيفية تحليلية، ص254

[2] خير الدين بربروس، مذكرات خير الدين بربروس، ترجمة محمد دراج، الطبعة 1، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص84

[3] أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا، داي الجزائر(1766_1791)، سيرته، حروبه، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص10.

[4] محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، المرجع السابق، ص78.

[5] صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي، المرجع السابق، ص21.

بدينهم وتقاليدهم، مما دفعهم إلى نشر قصص التعذيب التي تعرضوا لها حتى أصبحت صورة الاسبان ترتبط بالأذهان بالقسوة وعدم التسامح كما قال "**لكي يجعلوا من الاسبان شيئا كريها**"[1].

وهكذا نجد أن معظم الدراسات حاولت تشويه الوجود العثماني بالجزائر وتجريده من محتواه الإيجابي من خلال تصوير نشاط البحرية الجزائرية على أنه نشاط قرصنة ولصوصية بحرية وكل هذه الأفكار تحتاج إلى نقد وتحقيق وتمحيص لذلك نستطيع القول بأن القرصنة التي كانت تمارسها الجزائر في تلك الفترة لم تكن مجرد اعتداء أو عمل غير مشروع كما يصوره البعض بل كانت في حقيقتها نوعا من الحرب المشروعة لأنها لم تكن من طرف واحد، بل جاءت كرد فعل على اعتداءات متكررة من القوى الأوروبية فقد كانت الجزائر تمارس هذا النشاط دفاعا عن سيادتها ومصالحها –وبمبدأ المعاملة بالمثل– لا اعتداء من تلقاء نفسها،[2] وما ورد في مذكرات خير الدين بربروس يعكس المفهوم الحقيقي للقرصنة في الفكر العثماني، فهي لم تكن مجرد أعمال نهب أو قرصنة بحرية كما تروج له بعض الدراسات الغربية بل كانت تعد شكلا من أشكال الجهاد البحري فالهدف منها لم يكن السلب والعدوان بل الدفاع عن المسلمين ونصرة المظلومين وحماية أبناء الأمة والدين، وخاصة الفقراء والمضطهدين في مواجهة هذه الاعتداءات الأجنبية.

ويمكننا أن نوجز ما سبق بقول الدكتور محمد العربي الزبيري في كتابه "التجارة الخارجية للشرق الجزائري"، حيث لخص هذه الحقيقة ببساطة ووضوح قائلا: "**وهكذا فإن الجهاد البحري كان يشكل رد فعل على وضع قائم تسببت فيه الدول الأوروبية بتصرفاتها العدوانية المتعصبة، ولا يمكن التخلي عنه بمحض الإرادة**"[3].

وبعد أن تبين لنا زيف الادعاءات التي قدمها ألبير دوفال بخصوص ما أسماه القرصنة يتضح لنا أن هذا التحيز لم يقتصر على النشاط البحري فقط، بل امتد ليشمل نظرته العامة للمجتمع الجزائري الذي وصفه بكل سطحية وتعالي بأنه مجتمع بربري متوحش لا يعرف الحضارة ولا النظام، إلا أن الزبيري لم يغفل عن هذه المغالطة كما أشرنا سابقا، وعبر عن أسفه بقوله: "**ومن المؤسف جدا أن نرى اليوم جل المثقفين حتى في بلادنا يتبعون الفرنسيين في تضليلاتهم ويقولون أننا من أصل بربري جاهلين أنهم ينعتون أنفسهم بالوحشية والتهمج وبأنه لم يكن في**

[1] جون وولف، الجزائر وأوروبا (1500_1830)، ترجمة وتعليق الدكتور أبو القاسم سعد الله، دار الرائد، طبعة خاصة، 2009، الجزائر، ص 27.

[2] عطلي محمد الأمين، نشاط البحرية الجزائرية في القرن السابع عشر وأثره في العلاقات الجزائرية الفرنسية، مذكرة شهادة الماجستير في تخصص التاريخ الحديث، 2011_2012، غرداية، ص40.

[3] محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، المرجع السابق، ص122.

التاريخ جنس أسمه بربري"[1]، فقد كتب العديد من الصحفيين الأوروبيين بهذا المعنى في كثير من اليوميات والمجلات[2] ، والتي روجت لفكرة أنه لم تكن لنا أمة ولم تكن لنا دولة ولكننا كنا منذ أن وجدنا مجموعة من القبائل التي يغلب عليها الطابع الحيواني لأنها تعيش متطاحنة ومتناحرة[3]، ويستدلون على هذا القول بادعاء أن الجزائر كانت تشبه أوروبا في العصور الوسطى تعيش بلا حضارة ولا كيان ثقافي، وأن الحضارة الحقيقة لم تعرفها البلاد إلا مع دخول الفرنسيين واحتلالهم الجزائر سنة 1830[4].

وللرد على هذه الفكرة الخاطئة نستدل بقول العالم الألماني **هابنسترايت** [5]" حول مملكة الجزائر حيث قال عنها بأنها تعرف لدى الكتاب الأوروبيينبربارية أو البلاد المتوحشة ومعنى هذه الكلمة أنها بلد المتوحشين حيث قال: **"وهذا ما نعتبره منافيا للحقيقة إذ يجب أن ينصف القسم الأكبر من سكان هذه البلاد فهم أفراد بعيدون عن التوحش...يقدرون الأجانب ولهم رغبة ملحة في التعاون معهم..."**[6]، كما أشار أيضا إلى حرية المعتقد في الجزائر[7].

كما ينفي القنصل الأمريكي "**ويليام شالر** [8]"كل الاتهامات التي قيلت عن سكان الجزائر بأنه شعب بربري لا حضارة له بقوله: "**لكن هؤلاء السكان أبعد ما يكونون عن البربرية...وأنا قد وجدتهم في المعاملة اليومية دائما مهذبين ومتمدين وانسانيين...**"[9]، حتى أنهم غير متعصبين لدينهم مؤكدا أن الصورة التي رسمها عنهم كتاب آخرون لا أساس لها من الصحة بصفته شاهد عيان على ما يقول بحكم اقامته في الجزائر في تلك الفترة[10].

---

[1]البير دوفال، الرايس حميدو، المرجع السابق، ص7.

[2]محمد العربي الزبيري، أفكار جارحة في السياسة والثقافة والتاريخ، المرجع السابق، ص 416.

[3]محمد العربي الزبيري، المرجع نفسه، ص355.

[4]أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1900_1930، دار الغرب الإسلامي، الجزء2، الطبعة4، ص57.

[5] الرحالة الألماني هابنسترايت (J.E. Hebenstreit) هو طبيب وعالم نبات ألماني قام برحلة إلى الجزائر عام 1732، وتحديدا خلال فترة حكم الدايات.

[6]ج. أ. و. هابينسترايت، رحلة العالم الألماني، ج_أو_ هابينسترايت_ إلى تونس والجزائر وطرابلس (1145هـ_1732م)، ترجمة ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، تونس، ص25.

[7]المرجع نفسه، ص46.

[8] وليام شالر (1773 – 29 مارس 1833) كان كاتبًا أمريكيًا، وعالم إثنوغرافيا، ودبلوماسيًا، وعميلًا سريًا، تم تعيينه في الجزائر والمكسيك وكوبا .

[9]وليام شالر، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر (1816_1824)، ترجمة إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص80.

[10]المرجع نفسه، ص80.

- ولم يكتفي ألبير دوفال بتشويه صورة الجزائريين من خلال وصفهم بالبرابرة والقراصنة بل انتقل إلى التعليم مدعيا أن الجزائريين لا يعرفون القراءة ويجهلونها ولا يؤرخون للأحداث ولا يهتمون بها ولا يهتمون بالوقت ولا يعنيهم بشيء..."**إنهم لا يعرفون حتى أعمارهم ولا يؤرخون مكتوباتهم إلا نادرا**"[1]، غير أن الدكتور محمد العربي الزبيري قد تدخل ورد على هذا الادعاء الكاذب بقوله أنه فيه مغالاة واضحة لأننا لم نعثر على وثيقة عربية واحدة تخلو من تاريخ كتابتها مما يدل على أن الجزائريين كانوا على وعي كامل بأهمية التوثيق والكتابة وأن الثقافة كانت حاضرة في مجتمعهم وهذا الرد يعكس دفاع الزبيري الدائم عن الهوية الجزائرية وحرصه على تصحيح الصورة المغلوطة التي حاول الاستعمار ترسيخها عن شعبنا وتاريخه.

فقد كان التعليم منشرا في انحاء الوطن قبل الدخول الفرنسي للجزائر 1830، بحيث أن كل الجزائريين يحسنون القراءة والكتابة، إلا أنه كان يعتمد على أساليب تقليدية، مما حال دون تطوره منذ مئات السنين[2]، إلا أنها لم تلغي قيمتها وفعاليتها، وفي السياق ذاته نجد أن القنصل الأمريكي وليام شالر قد قدم لنا وصفا دقيقا لأسلوب التعليم في الجزائر خلال الفترة العثمانية مشيرا إلى بساطته وفعاليته في آن واحد فقد لاحظ أن كل طفل كان يملك لوحة يكتب عليها سورة من القرآن بخط جميل وبعناية كبيرة وعندما يتقن التلميذ كتابتها وحفظها يبدأ بتعليم زملائه مما يدل على وجود نظام تعليمي جماعي قائم على التعاون وكان يشرف على هذه العملية معلم أو تلميذ متقدم في السن يجلس في مكان مرتفع ليجذب انتباه الجميع ويلقي الدرس بصوت عادي وواضح كما عبر وليام شالر عن اعجابه الشديد بالخط العربي[3] .

- كما تشير بعض كتابات الرحالة الأوربيين الذين زاروا الجزائر خلال الفترة العثمانية أن الحياة الثقافية كانت منتعشة، وأن الحركة العلمية والأدبية كانت منبثقة في جميع أنحاء البلاد الإسلامية[4]، ومن هؤلاء الرحالة نجد الرحالة والعالم "**فيلهلم شيمبر**" [5]، الذي زار الجزائر في شهر ديسمبر سنة 1831 وأقام بها حوالي 10 اشهر حيث يقول عن التربية والتعليم أن الأطفال يذهبون إلى المدارس وهي موجودة بكثرة فيتعلمون القراءة والكتابة والحساب وحفظ القرآن حتى أن الكثير منهم يسافر إلى تونس والإسكندرية

---

[1] البير دوفال، المرجع السابق، ص22.

[2] محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، المرجع السابق، ص48.

[3] ويليام شالر، المرجع السابق، ص82.

[4] الزين محمد، اسهام العلماء في الحياة الاجتماعية والثقافية بالجزائر أواخر العهد العثماني، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، جامعة الجيلاني اليابس، العدد 21، ص157.

[5] جورج فيلهلم شيمبر (بالانجليزى: Georg Wilhelm Schimper) كان مستكشف وعالم نبات من دوقيه بادن الكبرى.

والقاهرة لتعلم الحرف وفنون التجارة ومنهم يسافر إلى ليفورنة لدراسة الطب واكتساب المعارف الأوروبية في مختلف الميادين كما اقر **فيلهلم شيمبر** وأكد على انتشار التعليم بالجزائر بقوله: "**لقد بحث قصدا عن عربي واحد في الجزائر يجهل القراءة والكتابة غير أنني لم أعثر عليه في حين أني وجدت ذلك في بلدان جنوب أوروبا فقلما يصادف المرء هناك من يستطيع القراءة من بين أفراد الشعب ومن الانصاف أن نقول أن الجزائريين يتكلمون الفرنسية بطلاقة وذلك ما دع الحكومة الفرنسية الى استخدامها في الوظائف العمومية أما الفرنسيون الذين يتكلمون العربية فلا وجود لهم إلا نادرا جدا**"[1]، كما نجد العالم الطبيعي **موريتسفاغنر** [2]، صاحب كتاب "رحلات في ولاية الجزائر في سنوات (1836_1837_1838)"، قد أشار إلى أن عدد المدارس في الجزائر قبل دخول الفرنسيين كان مرتفعا فقد بلغ حوالي مئة مدرسة [3].

كما شهد عدة فرنسيين على أن الأمية كانت منعدمة تقريبا في الجزائر وأن سكان فرنسا قد يكونون أقل منهم ثقافة، حيث يقول **روزي**: "**كل الناس تقريبا يعرفون القراءة والحساب**" وأكد هذه الفكرة "**والسان ايسر هازي**"الذي يرى أن نسبة الأمية في الجزائر كانت في 1830 أقل منها في فرنسا، أما الوضع الثقافي في الريف فقد كان مختلف عما كان في المدينة[4]، فقد لعبت الزوايا دورا أساسيا في نشر الثقافة في الأرياف إلا أنها لم تكن كلها لنشر العلم، فقد كان معظمها لإشاعة الخرافة، وإعطاء الورد والاتصال بالشيخ المرابط[5]، إلا أنها أوجدت نوعا من التوازن بين الريف والمدينة[6]، فقد كان التعليم حرا على جميع المستويات لأن كل من الطلبة والأساتذة كانوا يتقاضون رواتبهم من الأوقاف ولكن الفرنسيين قد استولوا عليها، وهكذا جرد التعليم الجزائري من أهم موارده خلال فترة الاستعمار الفرنسي[7].

---

[1]أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالة الألمان (1830_1855)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص13.

[2] موريتز فاغنر (بالألمانية: Moritz Wagner) (و. 1813 – 1887 م) هو مستكشف، وكاتب، وعالم نبات، وأستاذ جامعي من مملكة بافاريا . ولد في بايرويت

[3]نفسه، ص33.

[4]مبارك بن محمد الهلالي الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، الجزء3، مكتبة النهضة الجزائرية، ص217.

[5]أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية،دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ص36_38.

[6]مبارك بن محمد الهلالي الميلي، المرجع نفسه، ص 317.

[7]أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية (1900_1930)، دار الغرب الإسلامي، الجزء 2، الطبعة4، ص61.

وهذا ما أكده تصريح "**ايميل كونبس**" أمام مجلس الشيوخ "لقد كان التعليم بالجزائر سنة 1830 أقل تقهقرا مما جعلته السلطة الفرنسية، فقد كان هناك ما يزيد عن ألفي مدرسة ابتدائية وثانوية وعليا"[1].

ويقول**الفكون** [2] أن الحياة الثقافية في قسنطينة كانت بخير فقد انتشرت الزوايا وقد كانت بعض المدارس مخصصة لنشر العلم كما كان هناك جامع الزيتونة القريب الذي كان يقصده الطلبة بغض النظر عنالظروف السياسية،[3] إلا أن الطابع الثقافي كان نقليا أكثر منه عقليا،[4] وأن العلماء كانوا يكتفون بالقليل من العلم لتولي المناصب الشرعية.

ففي القرن 16م عرف الشرق الجزائري شخصيات علمية متميزة أمثال عمر الوزان، يحي الفكون، عبد الرحمان الأخضري...وغيرهم، وكانت في قسنطينة عدة زوايا تنسب لعائلاتها والتي ذاع صيتها مثل عائلة الفكون، وعائلة ابن باديس وغيرها، وقد كانت كلها مقصدا للعلم ومقرا للعلماء الجزائريين كما كانت هناك بعض المدارس لنشر العلم وحده،[5] وقد جاء في مذكرات الجنرال "بدوا" **أن عدد الطلاب في قسنطينة عند سقوطها سنة 1837، يتراوح ما 600و700 ثم انخفض سنة 1850 الى 60 طالب فقط"**[6].

ومن هنا نستنتج أن الادعاء القائل إن الاحتلال الفرنسي كان رسول سلام وحضارة للجزائر لا يستند على أي واقع تاريخي حقيقي بل هو خطاب استعماري موجه لتبرير الغزو والتشويه المتعمد لحقيقة الوضع القائم قبل سنة 1830، فالجزائر آنذاك لم تكن أرضا همجية أو فراغا سياسيا بل كانت دولة ذات سيادة قائمة بذاتها تمتلك مؤسساتها وعلاقاتها الدولية والأكثر من ذلك أن لها حسابات قائمة مع الدولة الفرنسية نفسها سواء من حيث الديون المترتبة في ذمتها بسبب شحنات القمح التي كانت الجزائر تصدرها لها أو من حيث المساعدات المتكررة التي قدمتها دار الجهاد للشعب الفرنسي خاصة في أوقات الأزمات والمجاعات[7]، وهذه المعطيات تفند بشكل قاطع كل المزاعم التي حاولت تصوير الاحتلال على أنه مشروع انقاذ حضاري وتظهره على حقيقته كعدوان عسكري استهدف دولة ذات كيان قانوني ومجتمع نابض بالحياة والسيادة.

---

[1]محمد العربي الزبيري، في رحاب التاريخ والنوفمبريون الجدد، دار الحكمة للنشر، الجزائر، 2015، الطبعة 1، ص55.

[2] عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم بن الفكون القسنطيني (1586م – 1659م) هو فقيه، وأديب، ومتصوف، ومن أبرز أعلام الجزائر في العصر العثماني.

[3]أبو القاسم سعد الله، شيح الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية،المرجع السابق، ص37.

[4]ازين محمد، اسهام العلماء في الحياة الثقافية والاجتماعية بالجزائر أواخر العهد العثماني، المرجع السابق، ص173.

[5]أبو القاسم سعد الله، شيح الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية،المرجع السابق، ص337_38.

[6]محمد العربي الزبيري، في رحاب التاريخ والنوفمبريون الجدد،المرجع السابق، ص56.

[7]محمد العربي الزبيري، أفكار جارحة في السياسة والثقافة والتاريخ، المرجع السابق، ص411.

فالتاريخ الاستعماري يميل إلى التنكر التام للعنصرين الحضاري والأصلي أي إنكار المدينة الأم من خلال تدمير الأحياء وانكار السكان المسلمين من خلال عدم الاعتراف لهم حتى بماضيهم الحضاري.[1]

أسلوب العربي الزبيري في ترجمة كتاب" الرايس حيدو"

يمكننا تلخيص أسلوب العربي الزبيري في هذا الكتاب في النقاط التالية:

- **المحافظة على الروح الأصلية للنص.**

من أبرز ما يحسب للدكتور محمد العربي الزبيري في ترجمته لكتاب الرايس حميدوهو حرصه على نقل الروح الأصلية للنص، كما جاء على لسانه في مقدمة الكتاب بقوله: **"وقد دفعتنا أمانة الترجمة إلى الاحتفاظ بالنص دون تغيير"**[2].

- **تبسيط اللغة دون فقدان المعنى.**

من أهم ما يميز ترجمة العربي الزبيري هو بساطة اللغة وسهولتها حيث اختار كلمات عربية فصحى واضحة تجعل القارئ مهما كان مستواه العلمي قادرا على فهم النص دون عناء، ولكنه في نفس الوقت لم يفرط في دقة المعاني بل حافظ على روح التعبير الأصلي، فالقارئ يشعر أنه أمام نص تاريخي غني بالمعلومات ولكنه مكتوب بلغة سهلة لا تعقيد فيها مما جعل الترجمة مفهومة وممتعة في آن واحد.

- **التعليق والتوضيح**

كما جاء على لسانه في مقدمة الكتاب "ولكننا نعقب عليه عندما يقتضي الحال بالتعاليق اللازمة"[3]، فالزبيري لم يقتصر في ترجمته على النقل فقط بل قام بدور المفسر والشارح وذلك من خلال تعليقاته وتوضيحاته في هوامش النص فقد قام بشرح بعض المصطلحات التي قد تشكل صعوبة على القارئ العادي، فعرف ببعض الشخصيات التاريخية التي وردت في الكتاب، وهذا الجهد جعل الترجمة أكثر فائدة.

- **تقييم الترجمة.**

يمكن القول إن الدكتور محمد العربي الزبيري قد نجح بكل جدارة في ترجمة كتاب الرايس حميدو للمستشرق الفرنسي ألبير دوفال حيث لم يكتف بأداء مهمة الترجمة بل أفلح في تقديم عمل متكامل يجمع بين النقل والتعليق

[1] العربي ايشبودان، مدينة الجزائر تاريخ عاصمة، المرجع السابق، ص33.

[2] البير دوفال، الرايس حميدو، المرجع السابق، ص6.

[3] ألبير دوفال، المرجع نفسه، ص6.

والتصحيح فقد استطاع أن يحافظ على أمانة النص الأصلي وفي الوقت نفسه قام بتصحيح المغالطات موضحا للمفاهيم ومعرفا بالشخصيات.

بفضل جهود الزبيري أصبح كتاب الرايس حميدو متاحا لجمهور أوسع خاصة لنا نحن الجزائريين الذين يريدون التعرف على تاريخهم من خلال لغتهم، وتعد هذه الترجمة جسرا ثقافيا وتاريخيا يربط بين الماضي والحاضر، ويعيد الاعتبار لأبطال منسيين.

خاتمة

بعد دراستنا لإنتاج المؤرخ محمد العربي الزبيري –مؤلفاته وترجماته– في تاريخ الجزائر الحديث يمكننا القول أنه يعد من أبرز الأسماء التي أسهمت بجهودها العلمية، في إعادة كتابة تاريخ الجزائر الحديث فقد سمح لنا هذا البحث بالوقوف على السياق الفكري والتاريخي الذي نشأ فيه، حيث تميزت فترة حياته العلمية بوعي وطني عميق ورغبة في إبراز الحقائق التاريخية التي تعمد الاستعمار الفرنسي طمسها، كما يبين لنا هذا العمل تنوع مؤلفاته التي شملت موضوعات مختلفة في تاريخ الجزائر الحديث، مثل كتاب التجارة الخارجية للشرق الجزائري، ومدخل الى تاريخ المغرب العربي الحديث، إضافة إلى جهوده المتميزة في الترجمة التي أثمرت عن إخراج أعمال مهمة إلى القارئ الجزائري خاصة والعربي عامة، مثل كتاب المرآة للمؤلف حمدان بن عثمان خوجة، وكتاب الرايس حميدو بقلم ألبير دوفال.

وقد أظهر الزبيري من خلال هذه المؤلفات والترجمات قدرة كبيرة على توظيف المنهج التاريخي القائم على الدقة والموضوعية، إذ لم يكتف بنقل المعلومات والاحداث فقط بل كان يحلل ويفسر ويربط بين الأحداث وظروفها كما أن ترجماته للنصوص الأجنبية لم تكن شكلية بل كان يضيف إليها شروحات وتعليقات مما يساعد القارئ على فهمها في سياقها الصحيح وهذا يعكس حرصه على الجمع بين الدقة في المعلومة وبين وضوح الطرح.

أما من ناحية الأسلوب فقد تميز بالبساطة والوضوح وهو ما جعل كتاباته في متناول مختلف القراء سواء الباحثين أو عامة الناس إذ لم يكن أسلوبه معقدا بل كان قادرا على إيصال أفكاره بسهولة، مع الحفاظ على الجانب العلمي في كتاباته هذا الاسلوب البسيط والعميق في آن واحد جعل من مؤلفاته مراجعا لا غنى عنها لكل باحث في تاريخ الجزائر الحديث.

ومن خلال ما سبق يمكن القول أن محمد العربي الزبيري جمع بين دور المؤرخ الملتزم والباحث الأكاديمي وبين المترجم الذي يفتح أبواب المعرفة على نصوص أجنبية هامة ويضعها بين يدي القارئ الجزائري وبذلك فقد أسهم في خدمة الذاكرة الوطنية وصيانتها من الضياع وترك تراثا علمي وأدبيا يحق لنا أن نعتز به .

ولا يسعنا في هذا المقام إلا أن نثمن جهود محمد العربي الزبيري ونشكره على إسهامه الكبير في إثراء المكتبة التاريخية والوطنية بكتابات أصيلة وترجمات دقيقة، أسهمت في توسيع أفاق المعرفة لدى الأجيال المتعاقبة.

وفي ختام هذا العمل لا يسعنا إلا أن نرفع أسمى عبارات الشكر والامتنان للمؤرخ الكبير محمد العربي الزبيري على ما قدمه من جهود جبارة في خدمة تاريخ الجزائر الحديث، فقد كرس حياته للبحث والكتابة والترجمة من

أجل ابراز الحقائق التاريخية وحفظ الذاكرة الوطنية، ونسأل الله تعالى أن يتغمده بواسع رحمته ويسكنه فسيح جناته، وأن يجزيه خير الجزاء على ما قدمه لأمته ووطنه.

إن هذه الدراسة لا تدعي أنها تناولت كل جوانب شخصية المؤرخ محمد العربي الزبيري أو كل ما تركه من مؤلفات وترجمات بل يمكن اعتبارها خطوة أولى فقط، تفتح المجال لخطوات أخرى في المستقبل.

قد يكون من المفيد لاحقا القيام بمقارنات بينه وبين مؤرخين جزائريين أخرين عاصروه أو التعمق أكثر في دراسة ترجماته وأثارها في مسار البحث التاريخي في الجزائر، متبعين في ذلك الطريق الذي سار عليه الزبيري.

فهرس الملاحق

صورة الدكتور محمد العربي الزبيري

مؤلفات الدكتور محمد العربي الزبيري التي كانت محور دراستنا

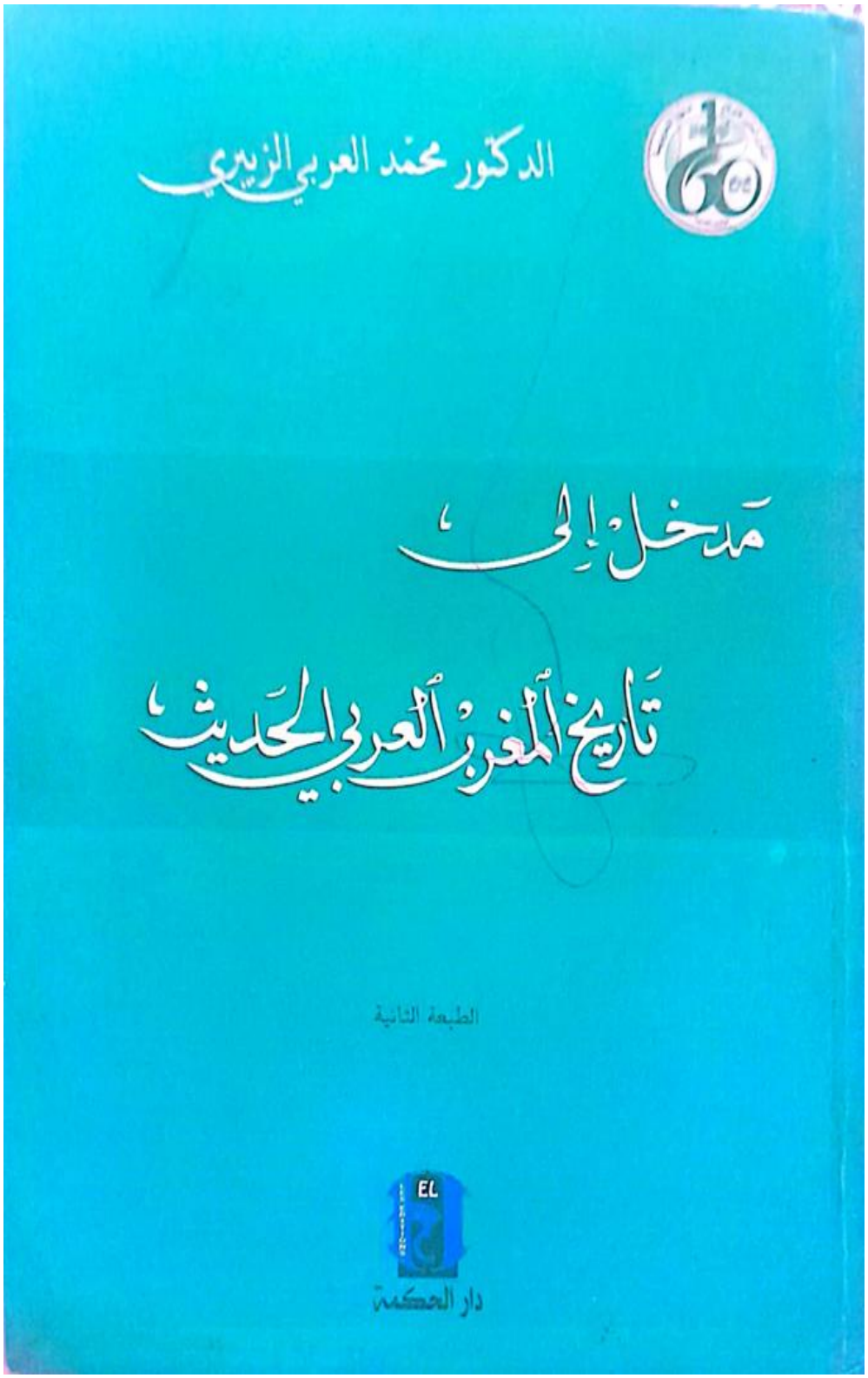
الدكتور محمد العربي الزبيري
مدخل إلى
تاريخ المغرب العربي الحديث
الطبعة الثانية
EL
دار الحكمة

حمدان بن عثمان خوجة
المرآة
تقديم وتعريب وتحقيق
د. محمد العربي الزبيري
تصدير عبد العزيز بوتفليقة
منشورات ANEP

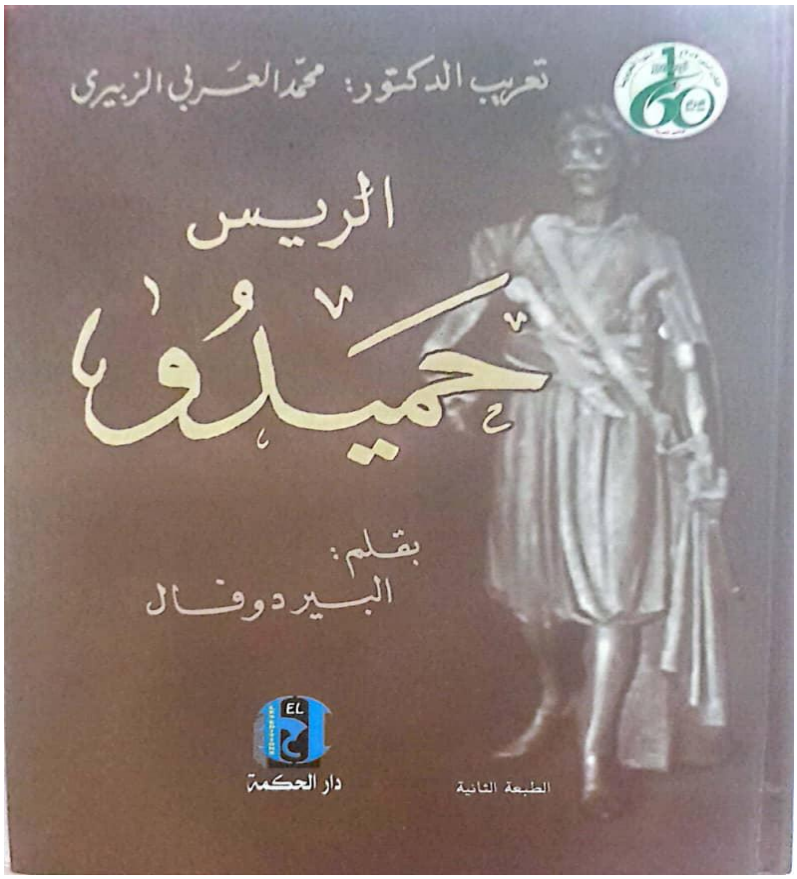

LE

RAÏS HAMIDOU

NOTICE BIOGRAPHIQUE

SUR

Le plus célèbre Corsaire algérien du XIII^e^ siècle de l'hégire

D'APRÈS DES DOCUMENTS AUTHENTIQUES
Et pour la plupart inédits

PAR

ALBERT DEVOULX

Conservateur des Archives arabes du Service de l'Enregistrement et des Domaines, à Alger,
Membre de la Société Historique Algérienne,
Correspondant de la Société Académique du Var

ALGER
TYPOGRAPHIE ADOLPHE JOURDAN
IMPRIMEUR-LIBRAIRE-ÉDITEUR
Place du Gouvernement

1859

259

بعض المؤلفات الأخرى للدكتور محمد العربي الزبيري

كتاب تاريخ الجزائر المعاصر وله خمس أجزاء

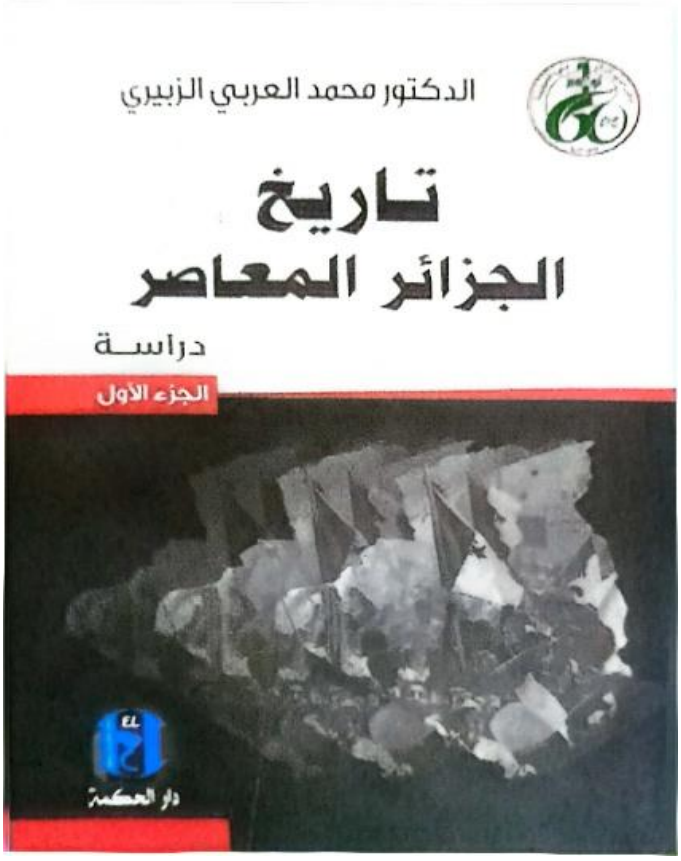

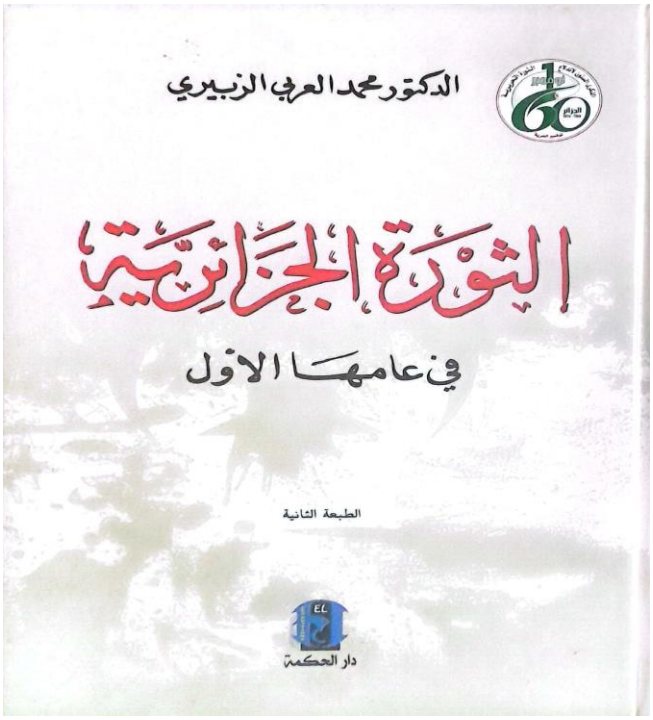
الدكتور محمد العربي الزبيري
الثورة الجزائرية
في عامها الأول
الطبعة الثانية
دار الحكمة

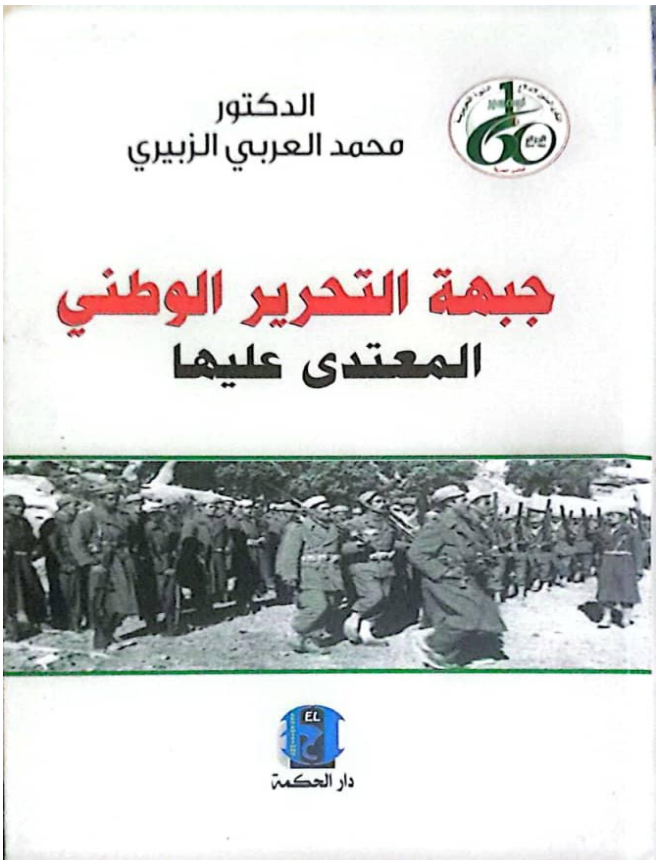
الدكتور
محمد العربي الزبيري
جبهة التحرير الوطني
المعتدى عليها
دار الحكمة

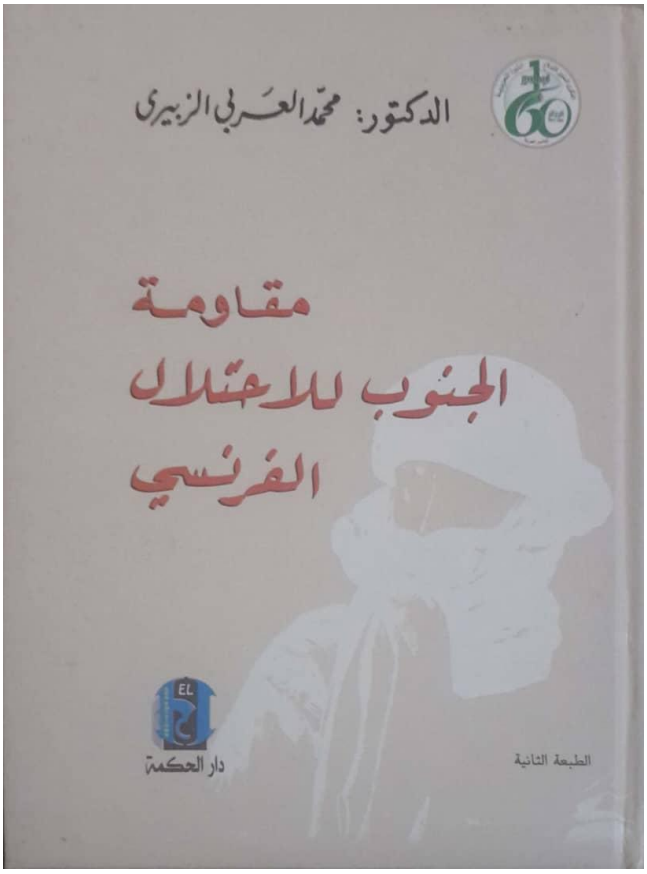
الدكتور: محمد العربي الزبيري
مقاومة
الجنوب للاحتلال
الفرنسي
دار الحكمة
الطبعة الثانية

قائمة المصادر والمراجع

أولا/ المصادر:

1. البير دوفال، الرايس حميدو، تعريب محمد العربي الزبيري، دار الحكمة للنشر، الجزائر، 2015، الطبعة 2.

2. حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، تقديم وتحقيق وتعريب محمد العربي الزبيري، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2006.

3. محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، الشركة الوطنية لنشر والتوزيع، الجزائر، 1972.

4. محمد العربي الزبيري، الغزو الثقافي في الجزائر، 1962_1982، الطبعة2، دار الحكمة للنشر، الجزائر، 2015.

5. محمد العربي الزبيري، في رحاب مدرسة التاريخ الوطنية، المجلة التاريخية الجزائرية، العدد 9 سبتمبر2018، جامعة محمد بوضياف.

6. محمد العربي الزبيري، مدخل الى تاريخ المغرب العربي الحديث، الطبعة2، دار الحكمة للنشر، الجزائر، 2015.

7. محمد العربي الزبيري، مقاومة الحاج أحمد باي واستمرارية الدولة الجزائرية، الطبعة 1، دار الحكمة لنشر، الجزائر، 2015.

8. محمد العربي الزبيري، في رحاب التاريخ والنوفمبريون الجدد، دار الحكمة للنشر، الجزائر، الطبعة1، 2015

ثانيا/ المراجع

1. أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان (1830_1855)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

2. أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، طبعة خاصة، ج1، دار البصائر للنشر والتوزيع، 2007،

3. أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية (1900_1930)، دار الغرب الإسلامي، الجزء 2، الطبعة4.

4. أبو القاسم سعد الله، شيح الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى.

5. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، 1998، الجزء السادس، 1830_ 1954،

6. أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766_1791، سيرته _حروبه_أعماله_نظام الدولة والحياة العامة في عهده، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

7. أحمد محمود صبحي، في فلسفة التاريخ، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، د.ط، 1975، ص12.

8. ج-أ-و- هابينسترايت، رحلة العالم الألماني، ج_أو_ هابينسترايت_ إلى تونس والجزائر وطرابلس (1145هـ_1732م)، ترجمة ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، تونس.

9. جون وولف، الجزائر وأوروبا (1500_1830)، ترجمة وتعليق الدكتور أبو القاسم سعد الله، دار الرائد، طبعة خاصة، 2009، الجزائر

10. حميدة عميراوي، دور حمدان خوجة في تطوير القضية الجزائرية (1827_1840)، مطابع دار البحث، قسنطينة، الجزائر، 1987، الطبعة1.

11. حنيفي هلايلي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الهدى، لنشر والطباعة والتوزيع، الطبعة الأولى، 2008، الجزائر.

12. خير الدين بربروس، مذكرات خير الدين بربروس، ترجمة محمد دراج، الطبعة 1، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010.

13. صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي، (1514_1830)، دار هومة، الجزائر، 2012.

14. العربي ايشبودان، مدينة الجزائر تاريخ عاصمة، ترجمة جناح مسعود، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007،

15. مبارك بن محمد الهلالي الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، الجزء3، مكتبة النهضة الجزائرية.

16. ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية دراسات وابحاث في تاريخ الجزائر في العهد العماني، دار البصائر، الجزائر، الطبعة الثانية، 2009.

17. وليام سبينسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب وتقديم عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006.

18. وليام شالر، مذكرات ويليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر (1816_1824)، ترجمة إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

ثالثا/ المقالات ورسائل التخرج

1. الأخضر رحموني، وفاة المؤرخ محمد العربي الزبيري، المدافع عن تصحيح المصطلحات والمفاهيم في تاريخ الحركة الوطنية، جريدة الوسط الجزائرية، 5أكتوبر 2024.

2. الأخضر غالب، المجاهد الراحل «محمد العربي الزبيري"، سيرة ومسيرة، الربيئة، العدد 30، الجزائر، 10 أكتوبر 2024.

3. أرزقي شويتام، طبيعة الحكم العثماني في الجزائر1519_1830، مجلة التاريخ المتوسطي، المجلد 4، العدد1، جوان 2022، جامعة الجزائر2،

19. أنس مباركي، محمد العربي الزبيري وإسهاماته في كتابة تاريخ الجزائر، مذكرة لنيل شهادة الماستر، جامعة بسكرة، 2018_2019 .

4. جريدة النصر، 1963، ت 30 _09_2024

5. حسن بربورة، إشكالية نظام الحكم العثماني في الجزائر 1518_1830، بين نظرة المدرستين التاريخيتين الفرنسية والجزائرية، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، جامعة يحى فارس، المدية.

6. حنيفي هلايلي، ثنائية توظيف المصادر المحلية والأوروبية في كتابة تاريخ الجزائر أثناء العهد العثماني من خلال تجربتي دوفاللكس وديغرامون، الحوار المتوسطي، العدد 1، جامعة سيدي بلعباس،

7. رزيقة حطابي، مليكة بوفراح، سجل الغنائم البحرية الجزائرية (1178_1245هـ/ 1765_ 1830م)، البير دوفال من خلال المجلة الافريقية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر، جامعة الدكتور يحى فارس، لمدية، السنة الجامعية 2015_2016 .

8. زلاط حفيظة، طرشون نادية، دور الكتابات الفرنسية في إعادة كتابة تاريخ الجزائر في العصر الحديث "كتاب التشريفات أنموذجا"، مجلة تاريخ العلوم / مجلد 5، عدد 13، 2020.

20. الزين محمد، اسهام العلماء في الحياة الاجتماعية والثقافية بالجزائر أواخر العهد العثماني، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، جامعة الجيلاني اليابس، العدد 21.

9. عبد الحفيظ موسم، منهج الكتابة التاريخية عند حمدان بن عثمان خوجة من خلال كتابه المرآة، مجلة عصور، المجلد22، العدد1، جوان 2022.

10. عبد المجيد بن عدة، رائد المقاومة السياسية الحديثة في الجزائر_السيد حدان خوجة_ (1845_1773).

11. عطلي محمد الأمين، نشاط البحرية الجزائرية في القرن السابع عشر وأثره في العلاقات الجزائرية الفرنسية، مذكرة شهادة الماجستير في تخصص التاريخ الحديث، 2011_2012، غرداية.

12. فارس خيرة، التأصيل الثقافي لدى "مولود قاسم نايت بلقاسم"، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الفلسفة، 2017_2018، جامعة مستغانم، عبد الحميد بن باديس.

13. متاجر صورية، حنيفي هلايلي، انتاج المعرفة التاريخية في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية في مدونات المجلة الافريقية نموذج بير برو جر، دوفال، دراغمون، رين، المجلد 11، العدد 1، مارس، 2020.

14. مراد بوعباش، أعلام الجزائر: حمدان بن عثمان خوجة _المواقف السياسية والقضية الوطنية_، مجلة الباحث، العدد3.

21. مولود عويمر، الدكتور محمد العربي الزبيري خطوات رائدة في الدود عن تاريخ الجزائر والثورة، التبيان، العدد 16، مارس 2023.

رابعا/ المواقع الالكترونية

https://www.youtube.com/watch?v=4BtPQl72k7A

أبعاد وخلفيات الدخول العثماني إلى الجزائر في بداية القرن السادس عشر ميلادي على ضوء الوثائق والمصادر العثمانية، دراسة ارشيفية تحليلية.

رحيل المجاهد والمؤرخ محمد العربي الزبيري، الإذاعة الجزائرية، 2024/09/30، 21:00/https://arrabiaa.net .

وكالة الانباء الجزائرية، وفاة المؤرخ المجاهد محمد العربي الزبيري، الاثنين 30سبتمبر2024، 21:45، الجزائر.https://news.radioalgerie.dz/.

فهرس المحتويات

الموضوع **الصفحة**

شكر

إهداء

مقدمة **1-3**

.الفصل الأول: المولد والنشأة.. والمسار العلمي للدكتور محمد العربي الزبيري .

المبحث الأول: السيرة الذاتية لمحمد العربي الزبيري..... **5**

المطلب الأول:مولده ونشأته والشهادات العلمية التي تحصل عليها..... **5**

المطلب الثاني: المناصب التي شغلها ووفاته..... **7**

المبحث الثاني: مؤلفات م.العربي الزبيري ومنهجه في الكتابة التاريخية..... **10**

المطلب الأول: مؤلفاته..... **10**

المطلب الثاني: منهجه..... **12**

. الفصل الثاني: كتابات العربي الزبيري في تاريخ الجزائر الحديث.

المبحث الأول: مؤلفات العربي الزبيري في تاريخ الجزائر الحديث.....**18**

المطلب الأول: كتاب التجارة الخارجية للشرق الجزائري.....**18**

المطلب الثاني: كتاب مدخل الى تاريخ المغرب العربي الحديث.....**29**

المبحث الثاني: جهود العربي الزبيري في ميدان الترجمة.....**33**

المطلب الأول:كتاب المـــــــرآة.....**33**

المطلب الثاني: كتاب الرايس حميدو..... **41**

خاتمة..... **56**

فهرس الملاحق: **60**

قائمة المصادر والمراجع..... **70**

فهرس المحتويات..... **75**

الحمد لله

الملخص:

تهدف هذه المذكرة إلى دراسة جهود المؤرخ محمد العربي الزبيري ومساهمته في كتابة تاريخ الجزائر الحديث من خلال مؤلفاته وترجماته، فقد تناولنا في البداية مسيرته العلمية والسياق التاريخي والفكري الذي نشأ فيه، ثم تطرقنا إلى مؤلفاته التاريخية البارزة مثل كتاب التجارة الخارجية للشرق الجزائري، وكتاب مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث، مبينين المنهج الذي اعتمده في كتاباته والذي يقوم على الدقة والموضوعية والتحليل النقدي للأحداث، كما خصصنا جانبا مهما لدراسة جهوده في الترجمة لاسيما كتاب المرآة وكتاب الرايس حميدو حيث تميز أسلوبه بالتعليق والشروح الدقيقة وتصحيح الأخطاء الواردة في النصوص الأجنبية، وهو ما أضفى قيمة علمية كبيرة على هذه الترجمات، وقد أبرز البحث الدور الذي لعبته أعمال الزبيري في اثراء المكتبة التاريخية الوطنية وفي نفض الغبار عن أحداث تاريخ الجزائر الحديث والرد على المدرسة التاريخية الفرنسية(الكلونيالية) .

الكلمات المفتاحية:

محمد العربي الزبيري، تاريخ الجزائر الحديث، الدولة العثمانية، مؤلفات . ترجمات.

Summary:

This memorandum aims to study the efforts of the historian Muhammad al-Arabi al-Zubayri in rewriting the history of modern Algeria through his writings and translations. We initially discussed his academic career and the historical and intellectual context in which he grew up, then we touched on his prominent historical writings such as:The book "Foreign Trade of Eastern Algeria" and the book "Introduction to the History of Modern Maghreb", explaining the method he adopted in his writings, which is based on accuracy, objectivity, and critical analysis of events. We also devoted an important section to studying his translation efforts, especially the bookThe Mirror and the Book of Rais Hamidou, whose style was distinguished by its precise commentary and explanations, and the correction of errors in foreign texts, which added great scientific value to these translations. The research highlighted the role played by Al-Zubayri's works in enriching the National Historical Library and expanding the circle of knowledge of modern Algerian history.

Keywords:

Muhammad al-Arabi al-Zubayri, modern Algerian history, French colonialism, works and translations.